الزاوية المهجورة
الجذع

عبد العزيز السُّفياني

obeikandl.com

اسم الكتاب: الزاوية المهجورة- (الجزء الثالث) الجذع

المـــــؤلف: عبد العزيز السُّفياني

الناشـــــر: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع

تصميم الغلاف: نوف عبد العزيز السُّفياني

٢٥ شارع شريف- القاهرة
Email: adel.metwaly69@yahoo.com
٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٨٧٠٥
الترقيم الدولي: ١ - ٩١ -٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

السُّفياني، عبد العزيز.
الزاوية المهجورة – ج٣ الجذع: رواية / عبد العزيز السفياني- ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٥ .
١١٨ص؛ ٢٠سم.
تدمك: ١ - ٩١-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨
١- القصص العربية.
أ- العنوان.

٨١٣

---

obeikandl.com

الزَّاوية المهْجُورَة

الجـــــذع

عبد العزيز السُّفياني

بورصة الكتب

٢٠١٦م

obeikandl.com

obeikandl.com

إنَّ مدن الإبداع لا تفتح أبوابها إلَّا لمراكب
من نسيج الأحلام التي تمخر عباب الفضاء تدفعها أشرعة
نسجت من خيوط الخيال بعد مرورها بمحطَّات الرَّغبة لتتزوَّد
بطاقة الإرادة للرَّكض على مضمار التَّسابق الأممي
لتحقيق الذَّات

السُّفياني

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء

إلى كلِّ حبَّة رمل في وطني الغالي
لوَّنتها قطرة دم
نزفت للدِّفاع عنها
أو أغرقتها قطرة دمع
سكبت قهرًا عليها
أو غسلتها حبَّة عرق
تعبت لتنميتها

obeikandl.com

obeikandl.com

"سعد" في زنزانته، مواظب على أعماله اليوميَّة الرّوتينيَّة، عندما يستيقظ من الصَّباح يبدأ بالتَّمارين الرِّياضيَّة، المشي، حفظ عدد الخطوات القليلة التي يذرع بها الزِّنزانة الصَّغيرة سبع خطوات ذهابًا ومثلها إيابًا، أمَّا بعرض الغرفة فهي لا تكمل الخطوة الرَّابعة، الهرولة في المكان، تليين العضلات، تمارين الظَّهر والصَّدر والبطن والفخذين والسَّاقين، يصلِّي الفجر مع الجماعة في السِّجن بعد أن سمح له بذلك شرط أن لا يتكلَّم مع أحد من السُّجناء ويرافقه جنديَّان واحد عن يمينه والآخر عن يساره كأنَّهما القرين، يضحك في نفسه... أحدهما يكتب حسناتي والآخر سيّئاتي، فمَن فيهما ستتعبه كتاباتي ويستطيع أن يحلِّل نفسيّتي وتشغله حسراتي، يعودون به إلى زنزانته في الحبس الانفرادي ليفطر، يقوم بتمارين ذهنيَّة، يتلاعب بالأرقام الحسابيَّة ويحلّ بعض الأحاجي يردِّدها ويحاول أن يصعب حلّها، يرتِّل القرآن، يكتب ما تجود به بنات أفكاره من فلسفة وأفكار، بعد صلاة الظُّهر يتناول طعام الغذاء، ويأخذ قسطًا قليلًا من راحة القيلولة، يستعد بعدها لتنظيف زنزانته منتظرًا صلاة العصر، يعود لتمارين اللياقة بعد صلاة العصر نسخة من تمارين قبل الفجر، في بعض الأوقات يكتب والبعض الآخر يفكِّر فيما كتب ويغيّر ويصحِّح يضيف ويمسح وفي أوقات لا يجد هوى في نفسه للكتابة فيقرأ القرآن أو يُسبِّح، يتناول طعام العشاء بين المغرب والصَّلاة الأخيرة التي هي صلاة العشاء وينام، وكأنَّه موظَّف لا يريد أن يتأخَّر عن دوامه، أصبح ينام نومًا هنيئًا، حتَّى الأحلام والكوابيس جافته لم تعد تزوره كسابق عهدها، بل رأفت بحاله وتركته ينعم بنومه.

يتذكَّر في أحد الأيَّام ضجَّة كبيرة في الزّنزانات وأصوات شتم ودفع تنتهي بأصوات مزاليج الأبواب وهي تُقْفَل، بعد يومين طلبوا منه النَّظر من شبّاك

أحد الأبواب ليتعرَّف على رجل لم يره من قبل، كان الرَّجل في وضع القرفصاء عاريًا تمامًا، نحيل فيما يبدو يغطِّي عورته بيديه وهو في زاوية الزِّنزانة المقابلة لزاوية الحمَّام، كان يرتعد من الخوف أم من برودة الجوِّ في الدَّاخل؟

سأله الضَّابط المناوب: تعرف الرَّجل؟

سعد: لا.

الضَّابط: لوى الله قصبكم يا كلاب ناظر زين يا ابن الشَّـر...!

سعد: لا سامحك الله، أمِّي أشرف منك، يا قليل الحياء.

الضَّابط: الأم الشَّريفة ما تلد قذرًا مثلك.

سعد: القذر أنت وأشكالك، أنا متَّهم فقط وماني مجرم ولا قذر مثل ما تقول، أنا "سعد المسعود" وأنتم تبحثون عن "سعد" ثانٍ.

الضَّابط (وهو يمسك بكتف "سعد" يهزّه): أقول ناظر زين ولا قسمًا برافع السَّماء أخلّيك تنسى اسمك من جد، تعرف الكلب اللي في الدَّاخل.

سعد (وهو ينظر من خلال الفتحة الموجودة في الباب): قلت لك ما أعرف الرِّجال، بعدين وهو مقرفص كذي ما أظن أقدر أتحقّق منه وهو في الزَّاوية.

الضَّابط (يخاطب "عمَّار" في زنزانته): انهض يا حيوان، وقرّب من الإضاءة.

قام "عمَّار" وهو يرتعش، طوله لا يتعدَّى مائة وخمس وستُّون سنتيمترًا، نحيل، أسمر سمرة أهل الشَّواطئ الذين تلفحهم الشَّمس مع الرّطوبة فتغيّر من لون أجسادهم إلى ما يشبه البرونز، أشعث، وضع يده على عورته، يرتعد.

الضَّابط (بعد أن ابتعد عن فتحة الباب): ناظر شف الحيوان.

سعد: لا والله ما قط شفته.

الضَّابط: هذا خويكم "عمَّار".

سعد (بتهكُّم): "ابن ياسر"!

الضَّابط: "عمَّار بن ياسر" هذا اسمه الحركي.

سعد: حركي بركي، أنت تبي الجواب اللي في راسك وبس. أقول لك ما أعرف الرِّجال تقول لي حركي وبركي.

الضَّابط: أنت اللي قلت "عمَّار بن ياسر".

سعد: أذكّرك أنت قلت "عمَّار" وأنا كمّلت لك "ابن ياسر"، وهذا في علم النَّفس ترابط التَّوافق بين الأسماء والأماكن زي لمن أقول جدّة تقول البحر أو الميناء، أبحر...

الضَّابط (مقاطعًا): المهم هو معكم في التَّنظيم؟

سعد: تقصد الشّركة!

الضَّابط: صحيح أنت تسمّيها شركة وهم يُسمُّونها التَّنظيم، تعرَّفت عليه؟

سعد: أبدًا ما قط شفته في الشّركة، يمكن يعمل في أحد المشاريع التَّابعة للشّركة في مكانٍ ما من المملكة ما أعرف!

الضَّابط: الظَّاهر إنّكم ما تجو بالطَّيّب.

ويصفع سعدًا صفعة سمع لها طنينًا في أذنه اليمنى، لو كان طليق اليدين لردَّ له الصَّاع صاعين، كاد أن يسقط لولا أن تداركه أحد القرينين، نظر بشرر في وجه الضَّابط، وأقسم في نفسه والله لن أنسى وجهك ما حييت وسوف أرد لك هذه الصَّفعة وأنت طليق اليدين والقدمين لأرى كيف يكون النِّزال بيننا أيُّها المتغطرِس، بصقَ على الأرض بقهر ليلقي غضبه على الأرض وخارج

النَّفس لكي لا يتملَّك منه فيتحكَّم فيه غضبه، بل يجب عليه أن يتحكَّم في الأمور كي لا تزل قدماه ويقع في المحظور، فهؤلاء ينتظرون غلطة واحدة منه لكي يتمكَّنوا منه.

صرخ الضَّابط: ناظره زين لآخر مرَّة أطلب منك مثل هذا الطلب، لو أنكرت معرفتك به وتأكَّدنا أنَّك تعرفه راح تتّهم بتضليل العدالة والكذب على السّلطات، وهذا ما هو في صالحك.

سعد (بهدوء): ما أعرف الرِّجال قلت لك ما أعرفه، أبشر ها أنا أناظر عشان لا تضيف تهمة عدم الانصياع للأوامر كمان، ما أعرفه أقسم بالله العظيم ما أعرفه ولا قط شفته.

الضَّابط: خير رجعوه زنزانته.

***

دخل "حامد العابد" إلى "مختصر" في مكتبه الخاص، دائمًا ما يستخدمه إمَّا في الاسترخاء وخاصة الخلوة أو لقراءة ملفَّات مهمَّة تحتاج إلى تركيز، وهنا يطلب من مساعده الخاص (السّكرتير) عدم الإزعاج، وهذا يعني إلَّا في حالات الأهميَّة القصوى وهي محدّدة ومعروفة، وبيده ملف عبارة عن تقرير كُتب على مغلّفه سرِّي للغاية قام بدراسته فريق تمَّ اختياره بعناية، على مستوى عالٍ من جمع للمعلومات وتدقيقها ودراستها وتحليلها، قام هو شخصيًّا بتكوينه وجعله تحت رئاسة وضَّاح، وأهميّة هذا التَّقرير تأتي في هذا الوقت تحديدًا للاطلاع على ما يجري في السَّاحات العربيَّة الدَّاخليَّة وكيف تعمل بعض الجماعات ومدى قوّتها، وماذا عن الدَّاخل هنا. ويركِّز التَّقرير على عناصر مهمَّة وهي التَّمويل والتَّجنيد والاختراق والاستقطاب، خاصَّة الشَّباب من الطَّبقات التي تعاني من الاضطهاد والاستبعاد الاجتماعي بسبب

الفقر أو التَّهميش، ويعتمد التَّقرير على شواهد حيَّة وحالات واقعيَّة وليس بحثًا أكاديميًّا يتطرَّق لنظريَّات ودراسات افتراضيَّة في الوطن، بل إنَّ المنطقة برمّتها لها تجاربها العامَّة التي قد تتشابه وتلك التي تختلف لمعايير معيّنة والخاصَّة بكلِّ إقليم على حدة، وبعض الظَّواهر المماثلة التي تظهر هنا وهناك بين تارة وأخرى إنَّما تدلّ على أنَّ هذه الخلايا وإن كانت تظهر أنَّها مشتّتة وتعمل بفرديَّة مطلقة إلَّا أنَّ الأرجح أن يكون لها تنظيم معقَّد ومترابط.

فبعض الجماعات تكثِّف صعودها على شكل ميليشيَّات صغيرة اشتركت بالفعل في كلّ من أفغانستان والشّيشان والعراق ولبنان وبعض المخيّمات الفلسطينيَّة فمن أين جاءت هذه المليشيَّات؟

وكيف استقطبت مجاهديها؟

كيف درّبتهم؟

أين؟

كيفيّة تأهيلهم نفسيًّا وذهنيًّا وبدنيًّا وتكتيكيًّا؟

كيف يتلقّون الأوامر؟

متى يتحرَّكون؟

كلّ ذلك لا يتم إلَّا عن طريق تنظيم محكم، وإدارة واعية لما تعمل، حدّدت هدفًا ووضعت لها فريقًا من الاستخبارات ذا حنكة ودراية وممارسة، تنتظر الوقت لتنقض وفق برنامج مدروس وتختفي عندما يكون للضَّرورة حيّز مرتدية ثوب التّقيَّة والورع مبرّرة ذلك التَّقوقع بكونه نوعًا من أنواع الجزر الطَّبيعي للموج، لتظهر برسالة جديدة وفي مكان مختلف عندما يحين الوقت المناسب لموجة جديدة أن تمتد، متمرّسة على امتصاص الهجمات، فهي تتعامل بواقعيَّة الميدان وليس بما هو مكتوب في الكراريس فقط، استفادت من

ارتفاع البطالة، والتَّوزيع السيئ للثَّروة، والعزلة التي فرضت على المجتمعات عن طريق تهميشهم، فهي تستخدم سياسة النَّفَس الطَّويل كتكتيك جوهري، والهدف من ذلك هو خلخلة الموجود في الطَّريق وإضعافه حتَّى تتمكَّن منه في الفترة المناسبة والتي يتم الانقضاض عليه، فالتَّمويل والاستقطاب ونوعيّة الفئات المستهدفة والتّكتيك المتّبع والوسائل الملتوية في اختراق المجتمع سواء في مؤسّساته الخاصَّة (القطاع الخاص) أو المؤسّسات العامَّة، وهنا يقصد التَّقرير (القطاع العام) خاصَّة منها الأمنيَّة والخيريَّة بعد أن تدفّقت هذه المجموعات في القطاعات الأهم ومنها التَّعليم عن طريق المساجد والمدارس والجامعات والمناهج فقاموا بجمع الأموال بمختلف الطُّرق، أهمّها التَّبرُّعات، والصَّدقات وسواء كانت نقديَّة أم عينيَّة، أمَّا أولئك الذين لم يدخلوا في دائرة استهدافهم، لا مانع من كسب تعاطفهم مع هذه الخلايا خاصَّة وأنَّ هدفها الظَّاهر نبيل ويصب في الصَّالح العام للأمَّة، فالمجموعة القادرة على الدَّفع المادِّي تدفع المال، وتلك غير القادرة لا بأس أن تتعاطف معنويًّا، أمَّا الفئات المستهدفة فينشأ منها الخلايا سواء الفاعلة التي تتحرَّك أو النَّائمة والتي يمكن إيقاظها وتحريكها في أي وقت، وبالتَّالي يرى التَّقرير أنَّ هذه المجموعات تمثِّل نظامًا متكاملًا يوازي نظام أيّ دولة ومن هنا تكسب هذه الجماعات قوّتها مرتدية عباءة الدِّين لأنّه الطّريق الأقرب للوصول إلى قلوب الأفراد في أرض ملأها نور الإسلام لأكثر من أربعة عشر قرنًا كانت هي مهد الرِّسالة ومنبع النُّور.

واستغلّت هذه الجماعات العديد من المبادئ العامَّة فقد استغلّت بعض الأزمات السِّياسيَّة كقضيّة فلسطين وأفغانستان والشِّيشان وغيرها، والاجتماعيَّة ومنها البطالة والفقر والعنصريَّة الطَّبقيَّة والإقليميَّة والفساد

بجميع أشكاله فقد استفادوا من هذه العوامل أيّما فائدة وجعلوا منها وقودًا للكراهية، وزادًا للفوضى، وذلك عن طريق نثر بذور الغلِّ والحقد، وعن طريق دراسة مستفيضة لعلم النَّفس الاجتماعي، ومن ثَمَّ تحويل هذا الحقد إلى يأس وإحباط وتشكيك في أنَّ هذه الحكومات لا تسعى إلَّا لمصالحها الشَّخصيَّة، يساعدهم في ذلك تخبُّط حكومات المنطقة في بعض القرارات، مستغلِّين المساحات الفارغة بين الشُّعوب وحكوماتهم، والبُعْد الذي فرضته الظّروف فيصبح المجتمع كهشيم قشٍّ جافٍّ سريع الاشتعال مع أوّل عود ثقاب يقترب منه، فهذه الجماعات تتفنَّن في تضخيم المشاكل والأزمات والفتن، فالأزمة التي تواجه الحكومة لها طريقان إمَّا أن تتغلَّب عليها، وهنا يظهر جهازهم المعد ويقلِّل من أهميّة الإصلاح الخجول الذي يتعثَّر في أزقّة البيروقراطيَّة والمصالح المتضاربة بين صنَّاع القرار ومنفِّذي هذه القرارات وإمَّا أن تفشل الحكومة في حلِّ هذه الأزمة إمَّا بوضع حلول مؤقّتة يستغلّها جهازهم بشكل جيّد بقولهم أنَّ هذا الحلّ سوف تكون له نتائج وخيمة في المستقبل، وعندما يظهر ذلك جليًّا في المستقبل يزداد العامَّة تصديقًا لهذه الفئة والوثوق في قدراتها على حلِّ المشاكل التي يعانون منها، والواقع أنَّهم يصطادون تجاهل الحلول الجذريَّة للمشكلة، أمَّا إذا كانت الحلول تحتاج بعض الوقت فيقوم الجهاز بزرع اليأس والإحباط مستغلِّين المثل العامِّي (مت يا حمار... حتَّى يجيلك الرَّبيع)، فتواجدهم في المجتمع لا يعني مسئوليّتهم عن وضع حلول أو المساعدة في وضعها، بل البلبلة وتضخيم ما صغر من المشاكل، وزرع الشَّكّ في نفوس أفراد المجتمع والتَّوجُّس من قرارات هذه الحكومة أو تلك، فهي تتراقص وتغنِّي على مشاكل وأزمات

المجتمع لكي تؤدّي رسالتها بكلِّ أمانة وهي تحريض المجتمعات على أجهزة الدَّولة، وهذه مهمّة سهلة جدًّا خاصَّة في دولنا العربيَّة.

فالمجتمع أمام الحكومة مكوّن من ثلاث فئات اجتماعيَّة الفئة الأولى هي فئة المفكّرين والمثقّفين والعلماء ولا يقصد التَّقرير (الفقهاء ورجال الدِّين) وهذه الفئة تحتاج مساحة من حريّة الفكر، إذا لم تجده في النُّور وعلى المنابر تحت الشَّمس، سوف تقوم ببثِّ أفكارها في الظَّلام، وبالتَّالي قد تحرّف وتشوّه صور التَّنمية لخدمة آخرين، والفئة الثَّانية فئة التّجَّار أو ما يُسمَّى رجال المال والأعمال، وهذه تحتاج إلى أمن ماليٍّ، والثَّالثة فئة البسطاء (بقيّة المجتمع) وهؤلاء يهتمُّون بأمور معيشتهم ... مأكل... مشرب... مسكن... علاج... أمن وظيفي... والخدمات المنظّمة للحياة الاجتماعيَّة الأخرى، فالفئة الأولى تشارك الفئتين الأخريين في الاحتياجات، أمَّا الفئة الثَّانية فهي لا تهتم بالحريَّات التي قد تعوق بعض أهدافها، ولكنَّها تشارك الفئة الثَّالثة احتياجاتها، أمَّا الفئة الثَّالثة فهي لا تهتم البتَّة إلَّا باحتياجاتها الضَّرورية وإن كانت نظرتها للحريَّة مختلفة عن الفئة الأولى حتَّى نظرتها الأمنيَّة تختلف عن الفئة الثَّانية، وذلك لكونها لا تملك المال ولا الفكر. هذا هو التَّقسيم الاجتماعي أمَّا التَّقسيم الاقتصادي فهو يقسِّم المجتمع حسب الدَّخْل أو الثَّروة إلى ثلاثة أقسام فقط (عليا ودنيا ومتوسِّطة) ويغفل التَّقسيم الواقع الموجود على أرضيّته، فالواقع يقول أنَّ هناك فئات مميّزة بالموجب وأخرى بالسَّالب؛ فالأولى تعدَّى رصيدها السَّائل أكثر من ثلاثة مليار دولار أو أكثر من عشرة مليار ريال، والأخرى تقتات على أقلّ من حدِّ الكفاف وهي قليلة جدًّا في الحالتين، أمَّا العُليا فهي تنقسم إلى ثلاث فئات عليا عليا وهي تملك أكثر من ثلاثة بلايين دولار، وعليا متوسّطة بين المليارى دولار ولا تصل إلى

ثلاثة مليار دولار، والعليا الدُّنيا وهي تقع ما بين المليار والمليارين دولار، كلّ ذلك بالدُّولار، وكذلك يمكن توزيع الطَّبقة الوسطى على هذا الأساس على أن يكون السَّقف أقلّ من مليار والقاع لا يقلّ عن خمسين مليون، أمَّا الفقيرة وهي الأكبر الآن وهي تُقَسَّم أيضًا إلى ثلاثة أقسام فقيرة عُليا تستطيع أن توفِّر مبالغ بسيطة وفقيرة متوسّطة بالكاد تستطيع أن تسدِّد فواتير معيشتها، وهاتان الفئتان تمثِّلان الآن النِّسبة الأكبر من المجتمع خاصَّة في مجتمع شاب يمثِّل فيه ما دون الخامسة والعشرين أكثر من ستِّين في المائة، أمَّا الفقيرة وغير المميّزة بالفقر المدقع فهي تعاني من الحصول على الحدِّ المقبول الأدنى، وبالتَّالي هناك إحدى عشر فئة في الواقع وليس ثلاث فئات كما يذكرها التَّقسيم الاقتصادي؛ ولذا تظهر بعض الآراء المتطرِّفة لتقول إنَّ عشرة في المائة من المجتمع يجنون تسعين في المائة من الدَّخل القومي وإنَّ تسعين في المائة من المجتمع يحصلون على عشرة في المائة فقط، ممَّا يعني عدم توزيع الثَّروة القوميَّة التَّوزيع الأمثل.

كما يمكن تقسيم المجتمع على أنَّه حضري وقبلي أو على حسب المناطق أو العائلات عيال وبنات الحمولة، ١١٠ و٢٢٠ وهذا مصطلح معقَّد نوعًا ما فهو يحتوي على عدّة أشكال قد يفرق الإخوة من الأب إذا كانت أمّهم ليست من بنات الحمولة، فأبناء الزّوجة من دولة عربيَّة أقلّ درجة من أبناء بنت الدّولة وأبناء بنت الدّولة العاديَّة أقلّ درجة من أبناء بنت الحمولة من الجنسيَّة نفسها وهم جميعًا من صلب رجل واحد، يحملون اسمه ولقبه ويتساوون في الميراث الشَّرعي، ولكن يختلفون في نظرة ومعاملة واحترام وتقدير النَّاس لهم، حتَّى في المناصب العامَّة، أمَّا في القطاع الخاص فقد يتساوى الجميع، وتجد العائلات المخمليَّة التي تعيش في برجها العالي بعيدة عن الشَّارع العام

وتلك التي تُولد بالقرب من الرَّصيف أو في المقابر في بعض الدّول، وقد تموت على الرَّصيف، ويمكن تقسيم المجتمع حسب التَّعليم وحسب الجنس وحسب العمر، وهذه دراسات اجتماعيَّة تحتاج إلى دراسة تفصيليَّة أعمق، اكتفينا بذكرها فقط للدّلالة على وجودها واكتفينا بذلك وركّزنا على التَّنظيمات السّريَّة، وقد نجد أنَّ بعض الجماعات بها عناصر من جميع هذه الفئات ما عدا الطَّبقة المخمليَّة، وتلك المستفيدة من النّظم الموجودة، بالرّغم من ظهور حالات استثنائيَّة لبعض المستفيدين وانتقالهم من فئة إلى الجانب الآخر ولو مؤقّتًا، أو يقومون بتكوين تنظيم سرِّي مناهض لنظام الحكم في بادرة خلاف حول موقف أو مصالحة متضاربة.

وعن هذه الجماعات نقول (جماعات... وقد تكون نهاية طرفها واحد ولكن لم نصل إلى نتيجة قاطعة في هذا الخصوص، والسَّبب في ذلك تداخل المدارس الفكريَّة السِّياسيَّة، فالقوميُّون العرب لا يفرِّق بعضهم بين الأديان والملل، وينجرف البعض منهم تجاه النُّظم الغربيَّة في كلِّ شيء وهم الليبراليُّون، وينظر البعض الآخر منهم على الحفاظ على بعض ما يفيد الأمَّة من التُّراث مع دمج ما هو مفيد من دول العالم المتقدِّم سواء من الشَّرق أو الغرب وهم المحافظون من الليبراليُّون، أمَّا الإسلاميُّون العرب فهم يبحثون عن الدَّولة الإسلاميَّة العربيَّة أو دولة الخلافة العربيَّة، وينقسمون إلى قسمين رئيسيين المتشدِّدين والعقلانيين كما أطلق عليهم المهندس "وضَّاح" رئيس فريق العمل في هذا التَّقرير) وهذه الجماعات تتكوّن من عدّة أجنحة، فهناك السّياسي وهناك العسكري وثالث الاستخباراتي ورابع المالي وخامس التَّخطيطي، وقد تكون هناك سلطة خفيَّة عليا لاتخاذ القرارات المهمَّة داخليَّة

داخل القطر كانت أم خارجيَّة تتعدَّاه إلى مناطق أخرى في العالم العربي أو العالم الإسلامي الواسع.

ونحن هنا في هذا التَّقرير نركِّز على الجناح العسكري، ولم نغفل الأجنحة الأخرى المساندة لبعضها البعض، فمحاولة تفتيت القبائل ودمج الأفراد في مجتمع جديد وأن يكون ولاء الفرد غير واضح المعالم أدَّى إلى تيه في الهويَّة للأفراد خاصَّة أبناء القبائل، فاستغلّتها الجماعات لإبراز الهويَّة الدِّينيَّة، أو الهويَّة العربيَّة وهي الأكثر وضوحًا بين الجماعات، خاصَّة على المستويات العليا منها، وطالما أنَّ الولاء للقبيلة انهار أو في طريقه للانهيار بعوامل هدم غير منظّم وغير مدروس العواقب، ولم يعرض البديل كبديل يغني عن القبيلة، فظهرت الهويَّة المشوّهة ورقة رابحة في يد تلك الجماعات خاصَّة أنَّ جميع الدّول دون استثناء تتكوَّن مجتمعاتها من قبائل وعشائر وعائلات؛ فهي تتشابه في كثير من العوامل حتَّى المدارس الفكريَّة تجد أنَّها متشابهة باختلاف أنواعها وأهدافها، وطالما أنَّ الطَّاقة الفكريَّة لا يمكن أن تُعبِّر عن نفسها، فبالتَّأكيد تتحوَّل هذه الطَّاقة من طاقة فكريَّة إلى طاقة بدنيَّة تتمثَّل في العنف، فعندما لا نستمع لحوار بعضنا البعض ننتقل من الحوار إلى ما يُسمَّى بالنِّقاش ومن ثَمَّ النِّقاش الحاد فالمشادَّة تنتهي بالعنف والاقتتال، وطالما أنَّ الحكومات تمارس العنف عن طريق أجهزتها العسكريَّة ولها الحقُّ في توقيف وسجن أيّ فرد دون محاكمات شرعيَّة كانت أم مدنيَّة (بعض الحكومات لاتزال تمارس على الأرض ما يُسمَّى بالأحكام العرفيَّة أو العسكريَّة ولها محاكمها العسكريَّة الخاصَّة ولا تعتمد في التُّهم السِّياسيَّة على المحاكم المدنيَّة الشَّرعيَّة)، وطالما أنَّه لا مجال للاحتجاج على قرار اقتصادي أو تجاري أو اجتماعي عن طريق المظاهرات المنظّمة في بعض الدّول، فإنَّ هذا الكبت لابدَّ أن ينفجر ويعطي

مبرِّرًا لهذه الجماعات من استخدام مصطلح (العنف المقابل أو العنف المضاد) وهذا السِّلاح تقوم الجماعات باستخدامه في أوقات معيَّنة كرسائل للحكومات العربيَّة في الأقاليم المختلفة أو انفلات خليّة فرديَّة لا يكون له مبرِّر ويظهر بعشوائيَّة، قد يظنّ المرسل إليه أنَّه إفلاس، وهذا هو الوهم الخادع، فأمواج البحر ليست منتظمة، وإن كانت تخدعنا في منظرها وهي هادئة تتكسَّر بهدوء على رمال الشَّاطئ التي تمتصّها بهدوء، وبعنف على الصُّخور التي تواجهها! هل هذا درس يريد أن يعلِّمنا خالق الكون كيف نتعامل مع الأحداث بالامتصاص وليس بالمجابهة؟ ولكنَّ هدوء الموج أو ارتطامه لا يعني نهايته! فهو عبارة عن استعراض عضلات من جهة، وإثبات وجود من ناحية أخرى.

وقد قامت هذه الجماعات ببعض العنف، وتمارسه ضدّ بعض الأفراد بالسَّطو على بعض المخازن خاصَّة مخازن الذَّخيرة الحكوميَّة والذَّهب للأفراد بغرض تمويل عمليَّاتهم مستفيدين من مبدأ "مكيافيللي" أنَّ (الغاية تبرِّر الوسيلة) وطالما أنَّ الحكومات تمارس المبدأ نفسه، ولكن بالمثل القائل (لأمر ما جذع أو قطع قصير أنفه) حتَّى لا تتّهم بأنَّها تتبع السِّياسة المكيافيليَّة وهو المعنى نفسه تقريبًا، فالتَّمويل والاختراق والتَّجنيد هي الرَّكائز الأساسيَّة التي يجب أن يبنى عليها التَّنظيم في ثوبه الجديد، فالتَّنظيم يجب أن ينتشر في الجامعات ليس بين الطَّلبة فحسب، بل بين هيئة التَّدريس أيضًا وفي المدارس وخاصَّة الثَّانويَّة والمتوسِّطة وبين هيئة التَّدريس هناك، فنحن في التَّنظيم نحتاج إلى هدف واضح المعالم لنعمل على ضوئه لوضع استراتيجيَّة معيَّنة والخطط اللازمة لذلك؛ فمن السَّهل استغلال اختلاط الأوراق في الوقت الرَّاهن بين الإسلاميين، أو ما يُطلق عليهم القاعدة أو الخوارج الجدد كما يحلو

للبعض أن يُطلقوا هذا المصطلح عليهم، ومن بين أولئك المتشدِّدين، أو الخوارج الجدد الخلط بين العادات والتَّقاليد القبليَّة وبين الدِّين وقد تطغى بعض الأعراف والتَّقاليد على الشَّريعة في بعض الأحيان، ويختلط ما هو محرَّم بما هو مرفوض تقليدًا أو قبليًّا، نستطيع نحن في التَّنظيم تشكيل هيكل عسكري له الصِّبغة الدِّينيَّة تحت استراتيجيَّة الوعد والجهاد، ونقصد بالوعد حسب مستوى المستهدف الفكري فهو إمَّا وعد دنيوي كمردود مادي أو معنوي، أو الشّهادة والجنَّة في الحالات الأخرى وأن نخلق جوًّا من الطُّلَّاب في رحلات قصيرة أوَّلًا وعن طريق هيئة التَّدريس يمكن توجيه هؤلاء الطَّلبة خاصَّة في المسابقات التي تُغطّى بالطَّابع الدِّيني أو التَّرفيه البريء.

توقَّفَ "حامد" عن القراءة في هذه النُّقطة عندما سرقَ النَّظر إلى الضّوء الأحمر من قبل سكرتيره الشَّخصي والتي تدلّ على أنَّ هناك أمرًا مهمًّا جعله يتجرَّأ ويقطع عليه حبل تركيزه، وضعَ الأوراق في الظَّرف بهدوء وأغلق المظروف وخرج إلى مكتبه وأخذ يقلِّب بعض الأوراق الماليَّة وطلب من سكرتيره أن يدخل، قال السِّكرتير بعد أن اعتذرَ على المقاطعة أنَّ وضَّاح في المكتب ويطلب مقابلتك لأمر مهم، أومأ "حامد" برأسه بالموافقة وهو يمثِّل اهتمامه بقراءة الأوراق الماليَّة، وما هي إلَّا ثوانٍ حتَّى كان "وضَّاح" في وسط المكتب، ووجهه شاحب.

حامد: خير!

وضَّاح: مقرّ الشَّرقيَّة.

حامد: خير.

وضَّاح: تفجّر.

حامد: المقرّ السِّري ولا مكتب الشّركة؟!

وضَّاح: ما أعرف بس قال المقرّ السِّري ما جاب طاري الشّركة.

حامد: من جاب الخبر.

وضَّاح: واحد من جماعة الاتصالات.

حامد: كيف؟

وضَّاح: توه وصلني الخبر من أحد عملائنا يقول سمع انفجار في المنطقة وتحرّى الأمر لقي سيَّارات الإسعاف والدِّفاع المدني متّجهة للمقرّ.

حامد: بس المقرّ يتفجّر ذاتيًّا، عن طريق الشّيفرة ومكتب الشّركة قريب من المقرّ.

وضَّاح: إيه بينهم بيت على واجهتين شرقيَّة وغربيَّة زي المقر.

حامد: يعني لو تفجَّر مكتب الشّركة أو المقر يعني تفجّر البيت اللي بينهم.

وضَّاح: كلام سليم.

حامد: يعني في ضحايا أبرياء لو تفجّر بيتهم عليهم وهم نايمين.

وضَّاح: قدرهم هذا قدرهم.

حامد (بعصبيَّة): هذا استهتار، كيف تمَّت العمليَّة؟ وبأمر مَن؟

وضَّاح: والله ما نعرف شيئًا حتَّى الآن.

حامد: الوحيد اللي يعرف الشّيفرة "عاصم" الله يرحمه.

وضَّاح: أو واحد حاول أكثر من ثلاث مرَّات بعد أن وصل للمقرّ.

حامد: صحيح... صحيح... بس مين راح هناك.

وضَّاح: كلام العميل السِّرِّي أنَّ هناك بلبلة وكلام عن وجود بعض رجال الأمن في المقرّ أثناء الانفجار.

حامد: ويش تقصد بكلمة بلبلة؟

وضَّاح: يعني ما هو متأكّد.

حامد: حدثت وفيات؟

وضَّاح: قال شاف سيَّارات إسعاف كثير حتَّى استعانوا بسيَّارات إسعاف من مدن وقرى مجاورة وفيه حوالي ستَّة من المصابين، بس ما يعرف إذا كان هناك قتلى، قال المنطقة محظور الدّخول فيها أو الخروج منها.

حامد: إصابات خطيرة... فيه ضحايا؟

وضَّاح: قلت لك الخبر توّه وصلني قلت أبلّغك.

حامد: اهدأ شوي ولا تحاول الاتّصال بأحد، وبلّغ الجماعة بالشّيفرة لا يتصلوا ببعض في هذي الأوقات، راح نعرف الأخبار عن طريق "مناحي"، "مناحي" واصل وأكيد لو عنده أخبار راح يبلّغنا بها، أشرب كاس الماء وروق يا أخو بدوه، لا تخف سقوط قلعة ما هي نهاية المعركة.

***

"عمَّار" الذي برمج تفجير المكان وألهى مجموعة الضّبَّاط، نزل إلى أسفل القبو، ووَجَدَ المعدَّات اللَّازمة وهي عبارة عن بدلة غوص كاملة ارتداها بسرعة عجيبة وحمل حقيبة من النَّايلون المقاوم للسَّوائل بها بعض الاسطوانات المدمجة ومبالغ من المال تُقدَّر بأكثر من نصف مليون ريال، واتَّجه إلى النَّفق الأيمن وصعد درجات سلّم قد أعدّت لخروج الطَّوارئ بسرعة وإذا به على سطح المنزل المجاور، ومنه تمكَّن من القفز لسطح منزل ثالث ملاصق، نظر إلى الشَّارع فوجد سيَّارة لنقل مخلّفات الصَّرف الصِّحِّي، والتي تقوم بسحب المخلّفات مباشرة من البيَّارات المحليَّة للمنازل وهي مستودعات الصَّرف، قَفَزَ بخفَّة ووَجَدَ باب الصِّهريج الأعلى مفتوحًا كما هو مخطّط له، فقد قام بإرسال خطّته بالشّيفرة عبر البريد الإلكتروني عندما كان يحاول أن يفتح الملف لمن هم في المقرّ لإعداد التَّرتيبات اللازمة لخطّته دون

تحديد موعد لذلك، وأن تتواجد سيَّارة شفط مياه الصَّرف الصِّحِّي عندما تكون حركة كبيرة في المقرّ وهكذا كان، قفز على سطح السَّيَّارة، ألقى بالحقيبة داخل الصِّهريج المملوء بالمياه القذرة، ووضع كمامة الأكسجين على وجهه وأحكم إغلاقها، وقبل أن يسقط بكامل جسده في داخل الصّهريج ليختفي أعطى السَّائق الإشارة المتّفق عليها، وغاب في مياه القاذورات، صعد السَّائق خلف مقود السَّيَّارة وأغلق الباب وحرَّك السَّيَّارة واتَّجه إلى الشَّارع العام عندما سمع دوي انفجارات، عرف منها "عمَّار" أنَّ المقرّ قد تفجَّر بالكامل ولن يستطيع أحد أن يسير خطوة نحو التَّنظيم من هذا المكان، توقَّفت سيَّارة المخلّفات عند أحد الشّجيرات في الشَّارع العام، ترجَّل السَّائق وفتح صنبور الماء لري الشّجيرات وعيناه تتابع سيَّارات الأمن والإسعاف، السَّاعة تقترب من التهام ما تبقَّى من دقائق تلك الليلة، طائرتان مروحيَّتان وقوَّات أمنيَّة إضافيَّة حاصرت المنطقة، تجمهر القليل ممن سمعوا الانفجار وأصوات سيَّارات الدِّفاع المدني والإسعافات والشّرطة، تهدم المبنيين الملاصقين فهويا، وتضرَّرت المباني الملاصقة ومنها مكتب الشّركة العالميَّة لتجارة الحاسوب، والسَّائق يحرِّك سيَّارته ذات الرَّائحة الكريهة رويدًا رويدًا لري الشّجيرات المصفوفة في الجزيرة التي تفصل الطَّريق العام إلى خطّين، توقَّفت أحد سيَّارات الأمن بجوار خزَّان نفايات الصَّرف الصِّحِّي المتحرِّك وفي وسط الشَّارع الخالي نزل منها ضابط سأل السَّائق:

– ها رفيق شفت أحد يمشي يجري هنا؟

السَّائق وهو يهزّ رأسه لا تعرف هل يعني الموافقة على السّؤال أم النَّفي: ما في شوف الضَّابط: سيَّارة... سيكل... موتوسيكل!

السَّائق: هادا في صوت هناك جوا هارا بوم... بوم بعدين سيَّارة بوليس... سرعة كتير... سيَّارة كتير إساف مرظى بس.

العسكري الآخر يدور حول السَّيَّارة، يفتح باب كابينة السَّائق يفتّشها جيّدًا، آخر صعد على سقف الصِّهريج، تأكَّدوا من إقامة السَّائق النِّظاميَّة وكذلك استمارة السَّيَّارة وأوراق التَّرخيص.

طائرات مروحيَّة أخذت تقترب من الموقع مسلّطة إضاءة كشَّافاتها القويَّة على الشَّوارع والطّرقات، تفتيش المنازل منزلًا منزلًا وغرفةً غرفة وزاويةً زاوية يتبعها اعتذار مفروض ولكنَّه مقبول على مضض، تذمَّرَ من البعض، ودعاء خافت لا يُفْهَم منه شيء، ودعاء بصوت عالٍ بأن ينصر الله الحكومة ورجال الأمن، وصوت أذان الفجر أخذ يرتفع من عدَّة مساجد منتشرة قريبة وبعيدة عن موقع الحادث، تمَّ تفتيش جميع السَّيَّارات الواقفة خاصَّة تلك التي كانت بالقرب من الموقع أو تلك التي كانت تجوب في الطُّرقات لا تعرف لماذا في هذا الوقت المتأخِّر من الليل، البحث عن المجرم دءوب، استغرق ساعات دون جدوى فالهارب اختفى وكأنَّ الأرض شقَّت له رحمًا في جوفها وأخفته حتَّى المساجد توزّع أفراد من القوّة يحملون صورة "عمَّار" ويتفرَّسون في وجوه الملبِّين لنداء الله.

طوّقت منطقة معيّنة بسرعة للتَّفتيش الدَّقيق، سيَّارات المطافئ والإسعافات تمَّ تفتيشها وهي تغادر الموقع، التَّعليمات محدَّدة وصارمة لا استثناء، الجميع يجب أن يخضع للتَّفتيش، ولكن "عمَّار" كان خارج هذه المنطقة بل بَعُدَ أكثر عندما تنكَّر في زي امرأة، وغادر مع مجموعة من المدرِّسات اللائي يدرِّسنَ في القرى المجاورة وكانت معه مدرسة من التَّنظيم ادَّعت أنَّها أختها وسوف تأخذها عند شيخ القرية القريبة من المدرسة ليقرأ

عليها فهي في حالة من (المس الخفيّ)، وسوف يأتي أخوها بعد الدَّوام لإعادتها إلى المنزل، طلبَ السَّائق خمسين ريالًا من المدرسة، قدّمتها له بعد أن قالت:

أقول لك مريضة تقول خمسين ريالًا.

مريضة ولا بالطّقاق النَّفر بخمسين تدفعي ولا ما تركب.

حسبي الله عليك سوي شيئًا لله.

الله يأخذ عمرك أنت وأختك جايبت مهبولت مع الصّبح، يا الله صباح الخير هاتي الخمسين ولا في الشّيطان.

هاك عساك ما تهناها توصّلنا عند باب الشّيخ وتحترينني حتَّى أسلمها زوجة الشّيخ.

أصبحنا وأصبح الملك لله، أبشري هاتي الدَّراهم.

هل كان هذا الحوار متَّفقًا عليه؟!

عِلْم ذلك عند ربِّي!

عند منزل الشّيخ الوهمي وقبل الوصول إلى المدرسة التي تبعد عن المنزل حوالي العشرين كيلو، وقفت السَّيَّارة ونزلت "سارة" ومعها أختها و"عمَّار" ومعهما الحقيبة.

دخل "عمَّار" وخرجت الأستاذة "سارة" وامرأة أخرى بدينة مبرقعة دون عباءتها تودّعها إلى الباب، شاهدَ جميع المدرِّسات والسَّائق والمرأة التي تودّع زميلتهم "سارة" وتطلب منها أن لا يتأخَّر أخوها في الحضور بعد صلاة العصر مباشرة لاستلامها.

بعد أن تأكَّد الجميع من مغادرة السَّيَّارة، خلع "عمَّار" الملابس وتناول وجبة الإفطار وسلَّم الحقيبة للرَّجل صاحب المنزل، وتناول حبّة (فاليوم)

منوّمة لا يحتاجها؛ فهو مرهق لما مرَّ به من أحداث، ولم يستيقظ إلَّا بعد غروب الشَّمس.

كانت السَّيَّارة الدَّاتسون غمارتين قد حُمِّلت ببعض من الحطب وثلاث من الغنم وبعض الأواني والحقائب ومنها حقيبة "عمَّار" التي وُضِعَت تحت الحطب وبجوارها لحاف في داخله مخدَّتان وبطانيَّة وقد ربطوا جميعًا بحبل من النَّايلون، خلف مقود السَّيَّارة ركب الشّيخ شدَّاد وبجواره زوجته، أمَّا في المقعد الخلفي فقد ركبت ثلاث سيّدات وثلاث أطفال، لم تكن الوسطى سوى "عمَّار"، وتوجَّهت السَّيَّارة نحو منطقة القصيم في طريقها إلى المدينة المنوّرة بعد أن غادرت مارَّة بالعديد من نقط التَّفتيش، ومن منطقة الحناكية توجَّهت السَّيَّارة نحو البرِّ جنوبًا وعادت بعد حوالي المائة كيلو غربًا حتَّى طريق الهجرة وقبل الجعرانة توقَّف الشّيخ في أحد المساجد واستحمَّ في حمَّام المسجد مستعدًّا للعمرة وهكذا دخلوا الحرم، كان الأطفال الثَّلاث من مسئوليّة "عمَّار" وبعد صلاة الفجر توجَّهوا إلى حي الشَّرائع حيث دخلت السَّيَّارة في أحد الأحواش المنتشرة هناك.

***

"مناحي" الذي كان يتسقَّط الأخبار في الرِّياض وهو في مقرِّ عمله في أحد الوزارات، سمع أنَّ أحد الإرهابيين قد هربَ في ظروف غامضة من المنطقة الشَّرقيَّة، أثناء مداهمة لأحد الخلايا من الفئات المنحرفة، البعض يقول معتقلين وعددهم كبير، أحدهم يروي الرِّواية وكأنَّه مسئول عن الأمن أو أنَّ أحد أقاربه هو المسئول عن أمن هذه الدَّولة، ويروي الرِّواية وكأنَّه أشرف على أحداثها بكلِّ ثقة ويسند لمسئول كبير دون ذكر اسمه، أنَّ هناك فئة متضامنة مع هذه الخلايا من رجال الأمن سهَّلت لهم المهمَّة، وهناك تحقيق مع

بعض مسئولي الأمن عن هذا التَّقصير ولكنَّه لم يتحدَّث عن التَّفجير، برغم أنَّ البعض يدَّعون أنَّ لهم أقارب في مدينة القطيف يقولون إنَّهم سمعوا صوت التَّفجير وشاهدوا سيَّارات الإسعاف والدِّفاع المدني والشّرطة في منطقة كذا من المدينة، بينما ينفي الرَّاوي الواثق هذه الرِّواية ويعتبرها من المبالغات وأنَّ مصادره الرَّسميَّة أكَّدت له أنَّ العمليَّة هروب فقط لمعتقلين أثناء نقلهم من مكان إلى آخر، الكلّ يشكِّك في الكلِّ، لا يتكلّم ولا يسأل أو يناقش بل يسمع ويخزِّن المعلومات في مسجِّله الصَّغير الذي اشتراه (كناجي) من أحد المعارض في لندن التي تبيع للعامَّة أجهزة التَّنصّت والتَّسجيل الذي يحمله دائمًا معه دون أن يعلم الجميع ذلك.

ماذا جرى؟

وأين؟

وكيف؟

في مساء اليوم التَّالي للحادث، وبعد أن سمع إشاعات الصَّباح في مقرِّ عمله، لبسَ شخصيّة "ناجي" وتوجّه بسيَّارته الفخمة إلى إحدى استراحات كبار الشَّخصيَّات التي يرتادها دائمًا للحصول على المعلومات الأكثر توثيقًا.

وإن كانت المعلومات التي حصل عليها من مقرِّ عمله قليلة ومقتضبة وركيكة إلَّا أنَّه حاول تركيب بعض الكلمات ببعض الأحداث لاستخلاص نتيجة أقرب لاحتمال وقوع الخبر؛ فالمداهمة التي يتداول الحديث عنها بعض الأفراد تمَّت في المنطقة الشَّرقيَّة ولكن في أيّ مكان في المنطقة؛ فالمنطقة تمتدّ من رأس تنّوره حتَّى الخفجي، هل الهارب من السُّجناء؟ أم مع المجموعة التي دُوهمت كما تقول بعض الرّوايات، لم يسأل ولن يسأل لكي لا تُثَار حوله

الشّكوك، ولكنَّ أذناه كانتا تلتقطان الكلمات المتناثرة هنا أو هناك لعلَّ وعسى أن يصنع منها شيئًا مفيدًا أو مهمًّا.

مَن هو الهارب؟

وهل هو من مجموعتهم أم من خلايا أخرى؟

حاول أن يقرأ شيئًا، ولكنَّ حديث العيون مبهم أكثر من كلام الألسن وعمليّة قراءة ما تقوله بالطَّبع أصعب ولكن هناك أمرًا خطيرًا حدث؟

كيف؟!

أين؟!

مَن؟!

يريد أن يعرف ولكن كيف؟

الهمس بين العميد المتقاعد من الجيش وبين أحد التُّجَّار الكبار في زاوية الاستراحة، والذي لا يسمع منه شيئًا بسبب صراخ مَن يلعبون (التي تو) وهي لعبة انبثقت من لعبة البلوت الأساس وحُرِّف الاسم عن (فيتو) كي لا تفسّر سياسيًّا.

هل هو عن الموضوع ذاته الذي جاء من أجله، تظاهر برغبته في الدُّخول إلى الحمَّام، وعند عودته حاول أن يقترب من الزَّاوية التي جلس فيها الضَّابط والتَّاجر مدَّعيًا أنَّه يريد أن يبتعد عن صريخ المتبارزين في اللعب؛ فأخرج ورقة من جيبه وتظاهر بقراءتها، كان الاثنان في الزَّاوية يحاولان الهمس ولكن لارتفاع صوت "أم كلثوم" التي تشدو بأغنية (للصَّبر حدود) من أحد المحطَّات الفضائيَّة وإصرار البعض على أن يسمع كوكب الشَّرق وصريخ المتبارزين واختلاط حديث البقيَّة الباقية من الحاضرين، تشعر وكأنَّك في سوق في حراج الخردة حيث أصوات السَّماسرة تنادي على الزَّبائن للاقتراب

ومشاهدة ما لم تره عيناهم من مخلَّفات وخردة استغنى عنها البعض لتجد لها هوى في نفس البعض الآخر، أظهر بعض التَّأفُّف، لاحظه التَّاجر والذي كان يراقب كلَّ مَن في المجلس.

قال التَّاجر مخاطبًا "مناحي": ناجي.

ناجي: سم الله يحيك.

التَّاجر: شكلك ما أنت قادر تركِّز على الموضوع.

ناجي: إيه بالله.

التَّاجر: تبي تركّز هنا!

ناجي: الموضوع شاغلني شوي وما ني قادر أفهمه.

التَّاجر: صعب لهذي الدَّرجة.

ناجي: على مستوى تعليمي والعبارات الرَّمزيَّة هذه تشكّل لي مشكلة.

الضَّابط الذي حاول أن يتدخَّل بحذر في الحديث: موضوع خاص.

ناجي: علاقة.

التَّاجر: تجاريَّة ولا غراميَّة.

ناجي وهو يبتسم: غراميَّة.

الضَّابط يقترب أكثر من "مناحي": ممكن أساعد.

ناجي: عن خبرة!

الضَّابط: إذا علاقة عابرة إيه عن خبرة أمَّا إذا ارتباط احنا في البحريَّة علّمونا نرسي في أقرب ميناء وننقل من ميناء لميناء.

ناجي ضاحكًا: عابر سبيل يعني.

التَّاجر: ذولي زي البدو الرُّحَّل كلّ يوم في مكان.

ناجي: والله ما أعرف مشاعري مرَّة أقول أحبّها ومرَّة أقول كل فطير وطير.

التَّاجر: يستاهل.

ناجي: قال أمير الشُّعراء "شوقي" يصفه

يَلْفِـــتُ المـــلا كلّمـــا وثـــبْ
فـــي غلائـــل سُـــندِسٍ قُشُـــبْ
دونهـــنَّ لا يثبـــت اليَلَـــبْ
قـــرَّ نَهْـــدُه عِطْفُـــه اضطـــربْ
خـــصرُه هبَـــا صَـــدرهُ صبَـــبْ
يُـــرْكِضُ النَّهَـــى مَشْـــيُهُ الخَـــبَبْ

التَّاجر: راقصة.

ناجي:

مَالَ وَاحْتَجَب وادَّعى الغَضَب
لَيْتَ هَاجِرِي يَشْرَح السَّبَب

الضَّابط مدندنًا مقلِّدًا المطرب الكويتي (شادي الخليج):

عتبهُ رضى لَيْتهُ عتبْ
علَّ بيننَا وَاشيًا كَذبْ

ناجي:

كُلَّما مشَى أخجل القُضُبْ

بَـيـنَ عينـهِ وَالمـهَـا نَـسَـبْ

التَّاجر: يا سيدي زدني.

ناجي:

مـَاءُ خَـدِّهِ شَفَّ عَنْ لهبْ

(أكمل وهو يشير للسَّاقي):

سَاقي الطّلا شربها وجَـبْ

(ضحك ثلاثتهم).

التَّاجر: شكلك ورطان.

ناجي: قلت لك ما ني متأكّد.

الضَّابط: المهم مشاعرها ولا...

طَابَ عِنْدَهَا الـ عجمُ وَالعَرَبْ

ناجي: هذا اللي مروّعني.

التَّاجر: افحص بضاعتك... واترك العطب.

الضَّابط (موجِّهًا كَلامه للتَّاجر): هذا البيت من عندك ما هو في القصيدة.

التَّاجر: المهم ماشي مع القافية.

ناجي: الخوف مو من الفحص.

الضَّابط: أجل!

ناجي: الخوف من نتيجة الفحص.

مضى الليل في أحاديث شتَّى لم يتطرَّق أحدهم لما حدث في المنطقة الشَّرقيَّة، تركَ المجلس متأخِّرًا علَّ وعسى ولكن لا خبر.

قال في نفسه وهو عائد بسيَّارته إلى منزل "ناجي" لكي يعيد السَّيَّارة ويعود إلى شخصيّة "مناحي" مرَّة أخرى.

obeikandl.com

الشّيخ... الشّيخ في تبوك... لابدَّ أن تكونَ بعض الأخبار قد وصلت هناك؛ فالشّيخ تأتيه الأخبار أوَّلًا بأوّل، ولابدَّ أنَّه كعادته قد سرَّب بعضًا منها لخاصّته، وإلَّا فإنَّ مأمور السِّنترال بالتَّأكيد قد سمع التَّفاصيل؛ فهو يتنصَّت دائمًا على مكالمات الشّيخ وكلّ مَن في المنزل، وفي معظم الأحيان يسجِّل لكي يعرف ما جرى، وهذه هي نقطة الضَّعف التي استغلَّها فيه، وهو مصدر مهم لـ"مناحي" الذي لا يبخل على عامل السِّنترال بالهدايا وبعض المبالغ الماليَّة البسيطة في الأعياد أو بعض المناسبات أو الغمز المبطَّن لكشف المستور وبالتَّالي يستدرجه لمعرفة أخبار وأسرار الشّيخ.

قدَّم طلبًا لإجازة اضطراريَّة من عمله وحجز على أوَّل طائرة لتبوك، لم تك رحلته التي استغرقت يومين قضاهما هناك ذات أثر كبير، فالتكتُّم على الهارب وطريقة هربه لاتزالان مبهمتان، كتبَ رسالة لـ"حامد" وأرسلها بالبريد الإلكتروني يطلب لقاءً، وهو في انتظار الرَّدِّ قرَّر أن يضع شجرة الاحتمالات أمامه كما درَّبه عليها "ماهر"، قال في نفسه يحدِّثها، ويرسم بيده خطوط الشَّجرة، الخبر صحيح أم غير صحيح، غير صحيح لا مشكلة، صحيح هناك احتمالان مداهمة أم غير مداهمة، إذا كانت مداهمة فالهارب مع المجموعة التي كانت موجودة في المكان الذي تمَّت مداهمته فهو طليق قبل وبعد المداهمة، وبالتَّالي يستبعد أن يكون من المعتقلين، إذا كان الهرب تمَّ من معتقل!

فمَن هو؟

أكثر المهمِّين في المعتقل هم "سعد" ولد الجنوب و"عمَّار" ولد الشّرقيَّة صديق "عاصم"؟ هل تمَّ تهريب أحدهم لاصطياد الآخرين، "سعد" منذ مدَّة وهو في المعتقل ويعلم تمام العلم أنَّه لن يهرب؛ لذا هل تمَّ استبعاده،

"عمَّار"! جائز فالمعلومات التي عرفها أنَّه اعترفَ بأمور كثيرة وبأسماء كثيرة ولكنَّه لا يخاف الموت... شخص آخر تمَّ تهريبه للإيقاع بمجموعة أكبر، المعادلة الرِّياضيَّة المبنيَّة على مجهول واحدٍ أوَّلًا، وضع حرف (س) رمزًا لـ"سعد" و"عمَّار" رمز له بحرف (ع)، وآخر حرف (ص) لصاحب الرَّمز مجهول استبعدَ "سعد" ولم يبقِ إلَّا حرفين (ع، ص) أيُّهما أهم بالنِّسبة للمباحث العامَّة والذي يختصر لهم الطَّريق إلى قمَّة هرم التَّنظيم، يعتمد ذلك على أهميّة (صاد)، وطالما أنَّ (صاد) مجهول فإنَّ أهميّته مجهولة أيضًا وتتراوح نسبة أهميّته ما بين أكثر من الصِّفر إلى مائة بالمائة؛ لذا نضع لها المعاملة الرِّياضيَّة (معادلة أصغر أو أكبر) فإذا كانت أهميّته أكبر فهو مَن تمَّ تهريبه، وإذا كانت أصغر فـ"عمَّار" أو (عين) هو مَن تمَّ تهريبه أو هرب، وجعل هذا التَّحليل قائمًا بعد أن حصر القائمة لعاملين مجهولين فقط معادلة نتيجتها "عمَّار" والأخرى "عمَّار" أو (ص)؛ لذا فالنِّسبة الأكبر لـ"عمَّار".

والسُّؤال هو: كيف هرب؟

"عمَّار" في سجن الرِّياض، فكيف يهرب من الشَّرقيَّة؟

هل استدرجهم في الحديث؟

هل أقنعهم بصيدٍ ما في الشَّرقيَّة وهرب من هناك؟

هل وهل...

أسئلة لا تنتهي وتحتاج إلى كثير من الإجابات، عينه على شجرة القرارات التي بين يديه وبين فترة والأخرى يناظر لوحة البريد الإلكتروني، سمع صوت هاتف الثُّريَّا، ضغط على زر الإجابة:

- سم.

- تم.

وانغلق الخطّ، كان "حامد" هو مَن يؤكِّد المقابلة، ارتاح قليلًا من بعض القلق... أخرج سيجارًا كوبيًّا، أشعله وصبَّ كوبًا من الشَّاي.

***

خرج "وضَّاح" محاولًا الابتسام أمام السّكرتير، ولكن ضبابة سوداء خيَّمت على وجهه جعلت قراءة الوجه أوضح من شمس الضُّحى فالخطب جلل، وما كتب على وجه "وضَّاح" لم يسبق لـ"عباد القارش" (وهو اسم سكرتير "حامد") أن لاحظه من قبل، ماذا يجري؟

في وجهك حزن تخفيه
ألم ودموع أوهام
وظلام يفضح ما فيه.

***

أمَّا "حامد" فقد قام وتوضَّأ بهدوء وبدأ في الصَّلاة برغم أنّ الوقت ليس وقت صلاة ولكنَّه يجد السَّكينة كلَّما ألمَّ به أمر أن يتوضَّأ ويصلِّي، عاد مرَّة أخرى إلى هدوئه لقراءة التَّقرير:

فالجماعات وضعت استراتيجيَّة جديدة وهي ما يُطْلق عليها النِّظام الموازي، وهي نظام موازي لما تحاول أن تبنيه الدَّولة التي توجد بها الجماعة! كيف؟

الدّولة تحتاج إلى المال للإنفاق على الإدارة والمشاريع فتلجأ إلى الضَّرائب والرّسوم أو المكوس أو كما تُطلق عليها الجماعات وتزيد لا تجوز المكوس إلَّا في بلاد المجوس، والجماعات تحتاج إلى المال لتمويل عمليَّاتها وتدريب أفرادها تحصل عليه من شركات الأموال والاستثمار في المحلَّات التّجاريَّة التَّابعة مباشرة لها ومن مجالات التَّمويل والتَّمويه أيضًا فقد عملت الجماعات على

إنشاء شركات في مجال الحاسب الآلي لاستقلالها في برنامج تمويل التَّنظيم من جهة وزيادة خبرات أفرادها في هذا المجال الحيوي من ناحية أخرى، ومن زاوية ثالثة يستخدمونه لنقل الأوامر والتَّعليمات والإرشادات وبطرق سريَّة بعيدة عن أعين الرّقابة، ومن أبرز الأمثلة على نشاطات التَّمويل هي إقامة معارض (السّلع المخفّضة)، تأسيس شركات حواسب وتطبيقات حاسوبيَّة بأسماء رنَّانة من كلمات القرآن الكريم للتّجارة في الأجهزة والبرامج، وهذه لها أهداف قصيرة وبعيدة المدى ومن أهدافها البعيدة المدى السّيطرة على سوق أو لنقل أسواق الحاسب الآلي والإلكترونيَّات في العالم العربي حيث تدخل الجماعة مع شراكات مع بعض التُّجَّار البعيدين عن أهداف التَّنظيم في الدّول الأخرى منها دول خليجيَّة وأخرى عربيَّة آسيويَّة وأفريقيَّة وبعضها أوروبيَّة وأمريكيَّة، كما أنَّ نشاط الجماعات المالي امتدَّ ليشمل أسواق الأسهم والمضاربات في البورصات المحليَّة والعالميَّة، وقدّرت بعض المضاربات لأحد الجماعات بما يوازي مائة مليون ريال سنويًّا على شكل محافظ بنكيَّة بين مضاربة واستثمار وودائع وشراء سندات حكوميَّة أيضًا، وبعض أفراد الجماعات من التُّجَّار الذين قاموا على إنشاء شركاتهم بأموال من التَّنظيم أو بتسهيلات بنكيَّة بكفالة من بعض أقطاب التَّنظيم يقدّمون بعض هذه الأموال للجمعيَّات الخيريَّة التَّابعة لهم، وبالتَّالي لا يدفعون ضرائب في الدّول التي تسنّ الضَّرائب بمسمَّاها أو تخرج من الوعاء الزّكوي في الدّول التي لا تكتفي بالزّكاة فقط بل تضيف عليها الرّسوم، الدّولة تحتاج لجيش للدّفاع عن حدودها، والجماعات تحتاج لجناح عسكري مدرّب للمواجهة، الدّولة تحتاج لوزارة للتَّخطيط وكذلك الجماعات تحتاج للتَّخطيط لبرامجها المختلفة جميعًا الماليَّة والعسكريَّة التَّدريبيَّة والتّكتيكيَّة والإعلاميَّة، الدّول تحتاج لدور للتَّربية

والتَّعليم، وكذلك تفعل هذه الجماعات وهي تستغلّ بعض أماكن التَّربية والتَّعليم في هذه الدّول؛ لذا يطلق عليه (النّظام الموازي) أي نظام يوازي النِّظام الموجود في الدَّولة، وبالتَّالي تصبح الدّولة حكومتين أو قوّتين، ينتصر فيها الأقوى، وقد بدأت بعض الجماعات في تطبيقها وذلك عن طريق الإعداد الأوَّلي والتَّأهُّب لحرب الشَّوارع، وكذلك حرب العصابات، وهذه العمليَّة تتطلَّب مهارات فرديَّة وإظهار هذه القوَّة أو التَّلويح بها في الوقت المناسب.

كما أنَّ هناك تقارير سريَّة قد تمَّ تهريب بعض من أجزائها، وهناك بعض المشاهد وأمثلة من هذه التَّدريبات التي تحتوي فيما تحتوي ليس على اللياقة البدنيَّة أو النّزال بالسِّلاح الأبيض أو دون سلاح كالجودو والتَّايكوندو والكاراتيه أو ببعض الأسلحة الخفيفة والثَّقيلة أو ما يُطلق عليه الكفاءة القتاليَّة في الميدان بل يشمل التَّدريب:

الاستيلاء على مخازن الذَّخيرة.

أسر جنود العدو.

استعادة زملائهم.

ويتم ذلك باستغلال مراكز الشَّباب والجمعيَّات في تنظيم رحلات ترفيهيَّة بأسعار زهيدة يتم تغطية العجز من خزائن الجماعة، وهي في حقيقتها معسكرات تدريب، ويركّزون على استقطاب المراهقين وأبناء الفئات الفقيرة من المجتمع، ويقومون بتقسيم روَّاد هذه المعسكرات إلى جبهتي حرب تحت إشراف خبراء ومدرّبين على درجة عالية من الكفاءة، على أن تكون أعمار الشَّباب بين الثَّالثة عشر عامًا ولا تزيد عن الثَّمانية عشر عامًا، وهذا هو الإعداد المبدئي بعد أن يتم الإعلان عن رحلة ترفيهيَّة بأجر رمزي لمدّة لا تقلّ عن عشرة أيَّام للأماكن السِّياحيَّة، ويتحايل القائمون والمنظِّمون على هذه

الأماكن التي خصَّصتها بعض الدّول للتَّرفيه، وذلك عن طريق التَّلاعب بالأنظمة واللوائح التي تُدَار بها تلك الأماكن وعادة يكون عدد الشَّباب نحو مائة شاب في كلّ رحلة من هذه الرّحلات، أمَّا المشرفون على هذه الرّحلات فهم من الأشخاص الموثوق بهم في الأحياء السّكنيَّة أو المناطق التي ينتمي إليها هؤلاء الشَّباب، ويتم اختيار المشرفين من مدارس تحفيظ القرآن الكريم أو أولئك الذين يقومون بإعطاء دروس خصوصيَّة أو دروس التَّقوية سواء في المدارس أو الجوامع، وأولياء أمور الطَّلبة لا يعلمون عن الهدف الحقيقي، بل وضعوا ثقتهم في هؤلاء المشرفين، ولكن حتَّى لو علموا فأين البديل خاصَّة في وطننا، فأين وسائل التَّرفيه إمَّا الأسواق أو المطاعم وهذه قد تمَّ التَّضييق فيها على الشَّباب بخطَّة مبطّنة أم بإهمال، وهذا هو لب موضوعنا في هذا التَّقرير، والفائدة للتَّنظيم أكبر فأصبح الطَّريق أمامهم لخيارين، إمَّا للمخدّرات والانحراف الجنسي أو للانخراط في أحد شِبَاك هذه الجماعات إلَّا مَن رحم ربّك.

والبرامج معدّة مسبقًا لاستقبال هؤلاء الشَّباب: حافلات، ووجبات مجانيَّة، نظام روحي وثقافي حسب الإعلان.

بعد ذلك يتم تقسيم الشَّباب إلى جماعات، تختار كلّ جماعة رئيسًا لها ويُسمَّى القائد وتختار له اسم أحد الصَّحابة، أمَّا الثَّقافة فهي دينيَّة بحتة، وتعتمد على كتب المتشدّدين، التي توزّع لهم بالمجَّان، يبدأ يوم التَّدريب من بعد صلاة الفجر ثمَّ يبدأ في محاضرة دينيَّة مبسَّطة يتاح فيها النِّقاش للجميع بعد ذلك للمشاركة والحماس، يتم بعد ذلك التَّدريب اللياقي ثمَّ وجبة الإفطار، ورحلة للسّير في طوابير منظّمة لمدّة ساعتين، بعد ذلك قراءة القرآن حتَّى صلاة الظُّهر، ثمَّ وجبة الغذاء والرَّاحة دون النّوم حتَّى صلاة العصر،

ويبدأ اللعب بعد صلاة العصر مباشرة، وفي الملعب يتم تقسيم الشَّباب حسب مجموعاتهم وتلعب كلُّ مجموعة أمام الأخرى وتحدّد قطع الملعب حسب عدد المجموعات وتُسمَّى كلّ قطعة أرض المعركة ويشرف على المبارزة في كلِّ قطعة مشرف أو أكثر، وتوضع في نهاية خطِّ المجموعة قطع من أشياء مختلفة:

أغطية الرَّأس.

أكياس من الحبوب.

عصى وحبال.

بعض الأواني وخلافه.

ويمثِّل ذلك مستودعًا للذَّخيرة لكلِّ فريق بالتَّساوي، ويُوضَع بعض الأفراد كحرَّاس ومدافعين لتلك الأغراض، وهناك خط وسط يحدِّد منطقة كلّ فريق، ويقوم كلُّ فريقٍ بالهجوم والاستيلاء قدر المستطاع على ذخيرة الفريق المضاد ويضعها في مستودعه، وإذا أمسك بأحد أفراد الفريقين وهو في أرض الخصم، يصبح أسيرًا، يُؤخذ في منطقة تُسمَّى منطقة الأسرى، ويمكن تحرير الأسير إذا لمسه أحد أفراد فريقه ويعود به حتَّى يصل به إلى أرض فريقه، وإلَّا يعود مرَّة أخرى للأسر، والفريق الفائز هو الذي يجمع من خصمه أكبر كميَّة ممكنة من الأغراض عندما ينتهي النِّزال قبل صلاة المغرب، وفي اليوم التَّالي يتبارز المنتصرون مع المنتصرين والمنهزمون مع المنهزمين، وهكذا يمضي هؤلاء الشباب العشر الأيَّام الأولى، في لهو ظاهر باطنه الإعداد، يُكَافَأ المنتصِر بأن يقومَ على خدمته الفريق المهزوم حتَّى النِّزال في اليوم التَّالي كتقديم طعام العشاء لهم، وسكب الماء لهم أثناء وضوئهم، تجهيز فرش النّوم لهم وهكذا.

وهذا هو الاختبار الأوَّل للفئات المستهدفة التي تسجّل في قاعدة للبيانات، يتم تكوين مجموعات منهم، كلّ مجموعة من مائة شاب تمَّ اختيارهم في الإجازات الطَّويلة وتسكينهم في عنابر كبيرة، ويتم هناك تدريبهم على القتال الأعلى درجة وتقسّم المجموعة في البداية إلى أربع فرق، كلّ فرقة من خمس وعشرين شابًّا، فرقتان مسلمتان وفرقتان يهوديَّتان تتقاتلان، فرقة مسلمة وأخرى إسرائيليَّة وهكذا لمدّة عشرة أيَّام يتعلَّم فيها الشَّباب التَّخطيط وإدارة المعركة، وهنا تظهر القيادات ومنها قيادة المواقف، وكذلك المواهب في عمليَّات الكرِّ والفرِّ، والهجوم والانسحاب، وفي العشر أيَّام التَّالية يتم تقسيمهم إلى مجموعتين، كلّ مجموعة خمسون فردًا ويتم تغيير مُسمَّى كلّ مجموعة في اليوم التَّالي، فالمسلمة اليوم تكون إسرائيليَّة غدًا ويبدأ الشَّحن النَّفسي للمبارزة، وتصحيح أخطاء الأمس، وتزداد اللياقة البدنيَّة والرّوح القتاليَّة لدى الأفراد، يعودون بعدها إلى حياتهم العاديَّة مع تسجيلهم في الأندية الصِّحيَّة واللياقة المنتشرة لزيادة جرعات الإعداد والنَّظر في مساعدة بعضهم في التَّغذية وحفظ القرآن وقراءة كتب المتشدّدين، وذلك عن طريق توظيفهم في بعض الشّركات التَّابعة لهم، كوظائف مؤقّتة لعدد من السَّاعات ويتم شحنهم بأخذهم إلى بعض الشَّواطئ لتحريضهم على حكومات الدّول، خاصَّة تلك المختلطة بين الجنسين، أمَّا تدريبهم فيتم في الصَّحراء أو داخل مزارع ضخمة بعيدًا عن أعين الرّقابة، وبالتَّالي تصبح عقولهم مستعدَّة لاستقبال ما يُصَبّ في آذانهم ويسمعونه ويؤمنون به ليكون الوقود الذي يضرم في نفوسهم.

أغلق "حامد" الملف وتوجَّه إلى معرض المجوهرات والمصوغات الذَّهبيَّة فرع (الغزّة) لكي يصرف عنه بعض الوساوس وعسى أن يتلقط

بعض الأخبار من السّوق، وبينما هو يتأكَّد من تنظيف الأرفف وبعض الحلي ويعيد ترتيبها، ويراقب في الوقت نفسه عمَّال المعرض، دخلت امرأتان، اقتربتا من أحد العمَّال، الذي أسرعَ لخدمتهما، قالت البدينة منهما: وين صاحب المحل؟

العامل: خير.

المرأة: أنت صاحب المحل؟

العامل: لا، خير يا خالة أيّ خدمة؟

اقترب "حامد" بهدوء ليسمع الحوار وفي يده قطعة من الحلي يتظاهر بأنَّه ينظفها، وقع بصره على ما تحمله المرأة الأخرى، خاتم لا يمكن لعين خبير مثل "حامد" أن تنكره، هذا خاتم التَّنظيم، وهذه المرأة مرسلَة من أحد الاثنين الغائبين، أحدهم في السِّجن وهو "سعد" ولد الجنوب والثَّاني ولد نجد "ماهر" ولكن كيف؟ تقدَّم نحو التي تحمل الخاتم تعرضه وكأنَّها تريد أن توصل رسالةً ما، قال "حامد": خير يا أختي.

المرأة: أنتَ صاحب المحل؟

حامد: نعم، خير إن شاء الله (ولم يرفع عينه عن الخاتم).

المرأة: ودي بخاتم مثل هذا.

أخذ "حامد" الخاتم من يدها بهدوء، أخذَ ينظر إليه كأنَّه لأوَّل مرَّة يراه بينما قلبه كاد أن يتوقَّف فجأة عندما قرأ اسم "عاصم" من الدَّاخل، إذًا هاتان المرأتان أحدهما "أم عاصم" والأخرى أخته، قلّب الخاتم في يده وقال:

حامد: والمقاس (ونظر في عين المرأة النَّحيلة التي كانت تمسك بالخاتم ولم تتكلَّم، فغمزت له بإشارة من رمشها).

المرأة البدينة: المقاس نفسه.

حامد: ذهب ولا فضَّة؟

المرأة: ذهب.

حامد: أبيض ولَّا أصفر؟

المرأة: أبيض.

حامد: شغل يد ميتين ريال وقيمة الذَّهب حسب الوزن بعد الصِّياغة.

المرأة: ومتى نستلمه؟

حامد: إذًا مستعجلين بعد يومين بس راح نأخذ خمسين ريال زيادة.

المرأة: ما في مانع (وهي تحدِّث رفيقتها التي لم تتكلَّم) عطيه ميتين وخمسين.

أخرجت المرأة النَّحيلة بعض الأوراق الماليَّة ووضعتها أمام "حامد"، لاحظَ أنَّها تلبس خاتم التَّنظيم النِّسائي في بنصر يدها اليمنى، ورقة من ذوات المائة وورقتان من ذوات الخمسين وخمس ورقات من ذوات العشرة ريال، لاحظ وهو يستلَّم الأوراق النَّقديَّة أنَّ إحدى الأوراق من ذوات العشر ريال قد كتبَ عليها رسالة، جمع النُّقود، وضعت المرأة سبَّابتها عليها كإشارة لأهميّة الموضوع دون أن تتكلَّم، ذهب لمحاسب المعرض وقبل أن يسلِّمه النَّقد طلب منه أن يصدر سندًا باستلام الخاتم والنَّقد، سائلًا المرأة البدينة:

حامد: لو سمحتي نكتب السَّند باسم مَن؟

المرأة البدينة: "عاصم عمَّار".

في هذه الأثناء وبينما المحاسب مشغول بكتابة السَّند والعامل انصرف لخدمة الزَّبائن الآخرين، بدَّل حامد بخفَّة الورقة التي بها الرِّسالة بورقة أخرى أخرجها من جيبه وسلَّم النَّقد للمحاسب، ووضع الخاتم في كيس من

النَّايلون وكتب عليه (صياغة مستعجلة) ووضعه في جيبه، وقال موجِّهًا سؤاله للمرأة المتحدِّثة: تبين نكتب اسم أحد من الدَّاخل؟

المرأة: لا شكرًا خلّه بدون اسم.

حامد: إن شاء الله يوم الأربعاء في الوقت نفسه تقدّموا السَّند لواحد من الإخوان أو ترسلوا أيّ شخص آخر يحمل السَّند وباقي النَّقد حق الذَّهب، يكون طلبكم جاهزًا، وهذا كارت المحل فيه تلفوناتنا إذا حبّيتوا تتّصلوا قبل ما تجووا وأهلًا وسهلًا بكم في محلّكم.

المرأة بعد أن استلمت السَّنَد: شكرًا.

***

دخل "حامد" لمكتب مدير الفرع وهو يتصبَّب عرقًا، دخل الحمَّام، أخرج الورقة الماليَّة... قرأ الرِّسالة التَّالية:

أنا "عمَّار" صديق "عاصم"... جوَّالي ٠٥******... معي أمانة... الرَّجاء الاتصال للأهميَّة.

أعاد الورقة إلى محفظته وتوضَّأ استعدادًا لصلاة الظُّهر في المسجد الحرام.

في المساء اتَّصل "حامد" بصديقه وضَّاح:

حامد: هلا وغلا.

وضَّاح: صوتك يقول فاضي.

حامد: ويش عندك في العصريَّة.

وضَّاح: ما هناك شيء مهم، الرّسومات والرَّسَّامين شغَّالين خير.

حامد: ما ودّك نتمشَّى؟!

وضَّاح: شكلك ما عندك شغل.

حامد: الشّغل ما يخلص بس مشتاق.

وضَّاح: قلت لك خذ صورتي وخلّها جنبك كلّ ما تشتاق ناظرها.
حامد: الأصل أشين من الصّورة تعال ولا أجيك.
وضَّاح: أوصل الوالدة عند الخالة وأمرك أنت في البيت؟
حامد: إيه.
وضَّاح: خلاص احترينني كلّها نص ساعة أو ساعة زمن أكون عندك.
حامد: مع السَّلامة.
وضَّاح: مع السَّلامة.

***

أغلقَ "حامد" المكالمة وفتح الحاسب الآلي لإلقاء نظرة على البريد الالكتروني:

قرأ رسالة بالشّيفرة من "مناحي" تقول إنَّه في الطَّريق إلى مكَّة لملاقاته، وحدَّد رقم العمود وموعد اللقاء، قرأ بعض الرَّسائل الأخرى، ولكنَّ فكره مشتت بين "عمَّار" و"وضَّاح" والآن "مناحي"، ماذا يحمل من أخبار، مسح الرِّسالة، وتأكَّد من مسحها من حاويتها، اتَّصل بـ"مناحي" عن طريق هاتف الثُّريَّا، سمع صوتًا يقول سم، قال تم، وأغلق الهاتف واسترخى، هل يؤجِّل لقاءه بـ"وضَّاح" وينتظر ما يحمله "مناحي"؟ ولكن "عمَّار"! آه من "عمَّار" هذا، كيف وصل وهل هو طعم من رجال المباحث؟ هل تفجَّرَ مكتب الشّركة والمقر في الشَّرقيَّة فعلًا؟ أم هي حيلة؟ ماذا يريد "عمَّار"؟ هل لديه معلومات؟ وما أهميّتها؟ لابدَّ أن يتحاور مع "وضَّاح" بصوتٍ عالٍ، نصف عقلك عند أخيك، و"وضَّاح" نِعْمَ الأخ والصَّديق، لابدَّ أن يتخلَّص من "عمَّار"... كيف؟ ومتى؟ هل يصارح "وضَّاح" بهذا؟ ماذا لو أنَّ "عمَّار" تخلَّص من المعتقل بطريقة ما؟ "عمَّار" وصلَ إليه عن طريق الشَّهيد

"عاصم" و"عاصم" من الأقطاب الخمسة، ضحَّى بنفسه من أجل هدف حدَّده وآمن به!

لم يقطعه عن أفكاره ووساوسه إلَّا رنين الهاتف الجوَّال، "وضَّاح" على الطَّرف الآخر، لم يرد على المكالمة، بل أغلق الهاتف وتوجَّه إلى الشَّارع.

"حامد" وهو يفتح باب سيَّارة "وضَّاح".

حامد: سلام.

وضَّاح: ليه ما ردّيت على المكالمة؟

حامد: تبيني أخسرك مكالمة، الصَّديق المخسر العدو المبين.

وضَّاح: ولو اتَّصلت بك أعتذر!

حامد: ما فيها شيء لو ما لقيتك راح أتصل بك.

وضَّاح: أجل حق البنزين واستهلاك السَّيَّارة.

حامد: روح بنا ناحية عرفات.

وضَّاح: خير!

حامد: تعرف من هرب من الشَّرقيَّة؟

وضَّاح: لا والله قلت لك الخبر أوَّل ما وصلني... بس ما حد قال شيئًا.

حامد: "عمَّار".

وضَّاح: خوي "عاصم"، اللي قفشوه مع المجموعة الكبيرة.

حامد: هو بعينه.

وضَّاح: من جاب الخبر؟ أكيد "مناحي".

حامد: لا... "عمَّار" بنفسه.

وضَّاح: من!... كيف؟

حامد: كنت أقرأ في التَّقرير حقكم المطوّل بعدما جبت لي الخبر اليوم في الصَّباح، ما أدري ويش اللي قال لي روح معرض الذَّهب اللي في المدعى.

وضَّاح: إيه.

حامد: وأنا في المعرض أراقب الزَّبائن والعمَّال والبيع، دخلت حرمتين واحدة بدينة والثَّانية نحيلة، وطلبوا صاحب المحل، يوم قرَّبت وأشوف ذاك الخاتم في يد النَّحيلة.

وضَّاح: خاتم!

حامد: إيه... خاتم خاص بخمسة أفغانستان.

وضَّاح: لابسته؟

حامد: لا... ماسكته، بين السَّبَّابة والإبهام تحرِّكه تلفت الانتباه.

وضَّاح: كمّل شوَّقتني.

حامد: طلبوا صياغة خاتم مثله، ولما أخذت الخاتم قريت اسم "عاصم"، أنا لما صغت الخواتم كتبت اسم كلّ واحد منَّا في الدَّاخل.

وضَّاح: زي دبل العرسان.

حامد: بالضَّبط.

وضَّاح: ها... تم.

حامد: يعني إيه؟

وضَّاح: يعني كمّل...

حامد: ترجع لجدودها ولو قرحت، أوّل مرَّة أسمع هذا المصطلح الغريب.

وضَّاح: سيبك من المصطلحات... كمّل السَّالفة، تراك تغث.

حامد: تظاهرت بأن الموضوع ما يعنيني، وما بان عليّ شيء، تفاوضت معهم على السِّعر مثل أيّ زبون، ولما استلمت النَّقد لاحظت بين الأوراق النَّقدية ورقة هذي هي... استنى أخرجها عشان تقراها، هذي هي... مكتوب فيها أنا "عمَّار" ورقم الجوَّال، ويبيني أتّصل به وأعطاني رمش.

وضَّاح: كان مع الحرمتين!

حامد: متنكّر... هو الحرمة الثَّانية النَّحيلة اللي ما تتكلّم.

وضَّاح: أفا.

حامد: والله يا أخو بدوه لو شفته وهو يعلك اللامي ويتمخطر، يسحبك من أوّل السّوق لآخره.

وضَّاح: سافرة؟

حامد: مبرقع... مذكر يا حبيب الله، بس عليه جوز عيون مكحّلة ومرسومة رسم تخلع قلب العاشق، بس راح اللي يتسحب يورّط.

وضَّاح: أفا، وبعدين.

حامد: ولا قبلين هذي كلّ السَّالفة، و"مناحي" أرسل لي رسالة بالشّيفرة يبي يقابلني وهو في طريقه لمكَّة.

وضَّاح: متى؟

حامد: باكر.

وضَّاح: طيّب.

حامد: طاب فالك، نبي المشورة منك... أقابل "عمَّار" قبل "مناحي"، ولَّا أنتظر.

وضَّاح: وأنت ويش رأيك؟

حامد: أنا (صمت قليلًا) قال: جيبتك يا عبد المعين تعين لقيتك يا عبد المعين عايز تتعان.

وضَّاح: والله... وأنا أخوك بالي مشوّش من حادثة الشَّرقيَّة ومرعوب، وهاللحين زوّدت القلق فيني، يبي لها راس تعميرة وبرَّاد شاي وجلسة للتَّفكير، الأمور ما تجي كذا، هذا يعني تفجير الشَّرقيَّة، نفذ من كم يوم، أقصد ما هو باليوم.

حامد: تعتقد أنَّ حادثة الشَّرقيَّة صحيحة، أقصد هل فعلًا تفجّر مكتب الشّركة والمقر؟

وضَّاح: الولد قال المقر ما ذكر مكتب الشّركة، ليش تسأل؟

حامد: تعتقد "عمَّار" متعاون مع المباحث؟ يعني المباحث جنّدوه، ساوموه، بايعها بعد ما صاحبه استشهد، ويش بلاك غثيتن، خل ذهنك في الموضوع لا تشتّت تفكيرك؟!

وضَّاح: جايز.

حامد: وقف هناك كازينو خلّينا نعمّر راسنا ونطلب برَّاد شاي ونتناقش.

وضَّاح: بس الكازينو الثَّاني أفضل فيه يماني اسمه "نبيل" يسوِّي الشِّيش وينظّفها بنفسه، وفحمهم ممتاز، غالي شوي، بس أنا أعرف المكان أنظف وأحسن.

حامد: خلاص اللي تشوفه خلّصنا.

***

"ماهر" الذي أخذ تفكيره في تلك المرأة اللغز يزداد يومًا بعد يوم، فهو لا يفتأ يرغب في رؤيتها دائمًا؛ فكان يتحجّج ليترك مكتبه؛ لينزل إلى مكتبها في الأرشيف في الدّور تحت الأرضي، بعد أن نقلت خدماتها لشركته وعيّنت

مسئولة عن ملفَّات الشّركة، أو يطلب منها الحضور إلى مكتبه لأمر مهم، ليسأل بعض الأسئلة التي لا تتناسق مع بعضها البعض، ينتهي بمواعدتها على العشاء أو الخروج لشرب بعض الكئوس من الخمر أو القهوة، وهي كامرأة مجرّبة الاحتكاك مع الرِّجال تعرف كيف ترمي بحبالها لصيد فريستها، كانت تعرف متى تعتذر! ومتى توافق على الخروج، فالرَّجل كالطّفل يرغب في الحلوى، وعندما يأخذها يعطيك ظهره، وهذا ما لا تريده، فهي يريد أن تكون الحلوى في يدها ولا تفرط بها إلَّا عندما تتأكَّد بأنَّ الطّفل الرَّجل أو الرَّجل الطِّفل لن يبتعد كثيرًا، خاصَّة هذا الرَّجل، فهي تشجّعه على الوقوع في الشّباك دون أن تظهر له ضعفها أو حبّها، فهذا النّوع من الرِّجال لا يرتبط مع المرأة الضَّعيفة التي تستسلم له بسرعة وتعطيه ما يريد، بل يثق ويرتبط في المرأة القويَّة التي تتحكَّم وتقود الدّفَّة كما تريد، تعرف نزواته مع كثيرات من الحالمات بثروته أو بائعات الهوى لمن يرغبن في شراء لذَّة مؤقَّتة أو عابرة، ولم تحاول أن تخترق هذا الجدار الخاص، فهو لم يبح لها بحبِّه، وهي التي كانت تحس بل تعلم ومتأكّدة من حبِّه لها دون تصريح، وبالرَّغم من ذلك تقول في نفسها إنَّ هذا الرَّجل له خبرة كبيرة مع النِّساء، ويعرف كيف يصل إلى غايته بكلّ الطُّرق، وهو ذكي جدًّا وحذر في علاقاته، بل إنَّ في حياته سرٌّ غامض يحاول دائمًا أن يلقي به في أعمق أعماق المحيطات المظلمة، وعلى الباحث أن يكون ذا خبرة ودراية، ليس هذا فقط بل ويستطيع تحمُّل ضغط هذه الأعماق النَّفسيَّة، وله الخبرة في عبور الجسور والعراقيل والطُّرق الملتوية التي يحاول أن يضعها في سبيل أيّ شخص يحاول أن يصل مخبأ سرِّه المدفون، وهنا لا تحتاج إلى خبرة فقط، بل إلى دراسة تحليليَّة كاملة ودقيقة حتَّى في أصغر الأمور، لا يجب إهمالها بل تسجيلها وتمحيصها وتحليلها ومن ثَمَّ تصنيفها مع مجموعتها

في ملفٍّ خاص، فهو يظهر أنَّ نقاط ضعفه المال والنِّساء ولكنَّ الحقيقة لا هذه ولا تلك هي نقطة ضعف هذا الأسمر الوسيم حتَّى لو كان جلّ وقته يصرفه بين العمل والسَّاقطات في حباله، وبعض الوقت يقضيه في كتابة المقالات الصَّحفيَّة، وقد قامت بتحليل جميع مقالاته التي كانت تنصب بين الاقتصاد والسِّياسة والعلاقة المعقَّدة بين الاثنين، فهو رأسمالي يكتب عن معاناة الفقراء واستغلالهم، صحيح أنَّه يدير شركاته بالنِّظام، ولكنَّ الجميع يحبُّه لعدالته في التَّقييم؛ فهو يعطي لمن يستحق ويشجِّع الجميع على تحسين مستواهم المعيشي، وذلك بتحسين أدائهم في العمل فكان لا يبخل عن تدريب بعض الكوادر التي ترغب فعلًا في التَّقدُّم والإنجاز، يضع الحوافز المشجِّعة للمبدعين والمبتكرين، سياسة المنافسة والبقاء للأفضل، بل كان ينقل الأفضل من الشّركات المنافسة الأخرى لتجديد الدِّماء، مَن يتابع هذا الخطّ من حياته يعتقد أنَّ هذا الرَّجل لا يفكِّر إلَّا في المال والأعمال، ولكنَّ "مرسيدس" ليست أيّ شخص ولا تنجرف وراء خيوط وهميَّة، بل لديها بعض القرائن التي تثبت لها أنَّ هذا القادم من جزيرة العرب يخفي تحت جذور أضراسه شيئًا، لابدَّ من كشفه، فهو على قدر كبير من الثَّقافة، ويملك موهبة في الإقناع والتَّأثير، تعادل موهبته في فكِّ الألغاز والأحاجي فهو يتمتَّع بالفطنة والذَّكاء بدرجة عالية فلماذا تخفي يا سيّد "سالم سلمان"؟ هذا إذا كان هذا هو اسمك الحقيقي!

***

أمَّا "سعد" بعد أن عاد إلى زِنزانته بعد صلاة الفجر مع جماعة السّجن تناول فطوره، عاد إلى أوراقه وعاد لكتابة فلسفته في الحياة ونظرته إلى الأمور فأخذ القلم يجري بين يديه قائلًا:

هل لازلت غارقًا في حقول الفلسفة والتَّنظير المجدبة، وتحاول أن تفرض فرضيَّاتك التي لم ولن ترقى إلى مستوى نظريَّة بقولك، عندما يبسط الإهمال نفسه على زاوية من زوايا القياس أو ركن من زوايا أماكن منسيَّة في الأزمنة التي تزدحم فيها المعطيات فتختلط المهمَّات بين الأساسيَّات والكماليَّات فتنقلب خريطة المجتمعات فيصعد القاع وتنخفض قمم بتراثها وأصالتها وعلمها فترتبك المفاهيم وتخرج المقاييس في غفوة من زمن السُّقوط إلى القمَّة، وزمن الإسقاط والبحث عن ضحيَّة يتم خنقها قربانًا لإرضاء شارع لا يعرف ماذا يريد؟ أو شهوة عارمة أطرت نفسها ببرواز قدسيَّة لا وجود لحدوده القياسيَّة كي لا يعرف القطيع مَن؟... متى؟... ولماذا؟ أين؟ وكيف؟

ليس لقلّة ما يعرض، بل لتنوّع وتعدّد العرض عن الطَّلب في لغة الاقتصاد الحرِّ المخنوق أو المقيَّد بالتَّخبُّط غير المبرّر الذي يعزوه رجل الشَّارع من أنصاف المتعلِّمين بالتَّجاهل المقصود أو غير المقصود، فمن المتَّفق عليه أنَّ الاقتصاد هو الحصان الذي يجرّ عربة التَّنمية والتَّطوير والتَّقدُّم، إذا كانت لدينا الرَّغبة في الدُّخول في سباق ما يُسمَّى بالتَّطور أو التَّقدُّم الأممي، نختلف دائمًا في عالم وضع له بدون ذنب منه الرَّقم الثَّالث عنوانًا مميّزًا له، في توظيف الحصان والعربة، فنقدِّم العربة كنوع من التَّجديد والتَّغيير وعدم تقليد الغير، فالغرب مشرك والشَّرق وثني كافر، فنجد أنفسنا، قد قيّدنا حركتنا برباط مخالف لنواميس الكون، وهنا تتسلَّط المحسوبيَّة على المحاسبيَّة، والتَّهرُّب من المسئوليَّة، التي تتوه بانتزاع الصَّلاحيَّة، ويعلو مبدأ الوظيفة للرَّجل الذي يناسبني في المكان الذي يناسبه، فتفصل الوظيفة للشَّخص وليس البحث عن الأفضل لوظيفة نحتاجها في سباق التَّنمية، ونتوه أيُّهما أهم؟ لتبدأ الأوساخ والقاذورات وبعض من الحشرات الصَّغيرة ومنها العناكب في احتلال مكانٍ

ما! في النُّقطة البعيدة من الزَّاوية الحادَّة التي لا تصلها حتَّى أقسى أنواع المواد القاتلة من المبيدات لاصطياد مَن تسوّل له نفسه الاقتراب من محميَّة لا تستطيع أن تحمي نفسها؛ فتسقط أوراق حبّ الوطن من أبناء الأرض في خريف انتزاع حقوق الغير، وإسقاط هفواتنا على أقرب خطَّاف اخترناه لمثل هذا العمل، كما تتساقط أوراق حاولت التَّمسُّك بفرع من أفرع شجرة نبذها وقطع الماء وكلّ حاجيَّات الحياة عنها حتَّى اصفرَّ وجهها خجلًا من الضَّعف، فقسا عليها وأبعدها عن جذورها، وعمل بكلِّ ما يملك على فصلها وإسقاطها، فهبَّت رياح تغيير الفصول الذي خطفها ونقلها بعيدًا فأوصلها، بل لنقل جرفها إلى وادٍ من أودية الجفاف الذي أضعف من قدرة تشبثّها في أمِّها الوطن، لتتقاذفها أهواء، في أزمنة التَّكفير وأزقّة مخفيَّة مخيفة من أماكن التَّفجير، بالرَّغم من حسِّها أنَّها منها وهي للأسف غريبة عنها، فتزداد حيرتها وتضطرب ثقتها ويضيع الدَّرب من تحت قدميها، فيصبح الإنسان بلا هويَّة ويضيع من دربه العنوان، يمزّقه ألم الانسلاخ المرفوض والمفروض في نفس كانت مطمئنَّة فأضحت لوَّامة وتغدو أمَّارة بالسُّوء.

فالزَّاوية القياسيَّة كلَّما كانت منفرجة أكثر فإنَّ البكتريا والطّفيليَّات والفطريَّات لن تستطيع الهجرة إليها؛ لأنَّها لن تستطيع أن تعيش وتتكاثر في منطقة حمت نفسها بالانفتاح للهواء، تستنشقه، والشَّمس تحرق وتجفِّف بأشعتها، الآسن من مياه راكدة لا تؤدِّي إلى تقدُّم منشود، وتملك سلاح شفافية النَّظافة، لقتل كلِّ أنواع الطفيليَّات المتسلِّقة على فروع الفساد، بعكس الزَّاوية الحادَّة، سواء كانت في ثلاثي للأضلاع أو معيّن بأربع أو شكل يكون أكثر من ذلك من الأضلاع، وكلّما كانت الزَّاوية حادَّة ضيّقة خانقة، لا تسمح لا للهواء ولا للشَّمس أو لوسائل التَّنظيف الأخرى أن تعمل، بالتَّأكيد فإنَّ

الصّعوبة التي تقترب من المستحيل، أكبر في التَّخلُّص من البكتريا والطّفيليَّات التي تجذب الحشرات للتَّعايش والتَّكاثر، ويبدأ التَّدخُّل العلاجي ومنه إلى الجراحي، أمَّا البتر أو الموت فكلاهما إعدام لجزء من أجزاء الجسد الواحد.

أمَّا المسكِّنات والمهدِّئات فلن تعالج؛ فهي بالرَّغم من أنَّها تخفّف من الآلام لوقت قد يطول، وقد يقصر إلَّا أنَّها في الوقت نفسه تعمِّق من النَّزيف الدَّاخلي وتزيد الجراح أضرارًا، قد يكلّف الإنسان الكثير بل أضعاف ما قد يواجه به المشكلة لو تمَّ مواجهتها، ووضع الحلول الصَّحيحة لها من البداية، لأنَّه لابدَّ للجِرَاح المهمَلَة أن تُظْهِرَها البكتريا وأن تنكَأ لتدمي، والنِّيران النَّائمة المدفونة بين الرَّماد أن تأتي بعض العواصف لتلقي بالرَّماد الهشّ جانبًا فتستيقظ وتحرق.

فهل تعي هذا؟

وأنت النَّاصح الأمين.

***

دخلَ "حامد" و"وضَّاح" المقهى، وصَاحَ "وضَّاح" مناديًا على "نبيل" الذي هرولَ إليهم مرحِّبًا، طلبَ منه جلسة خلويَّة بعيدة عن أعين المتطفِّلين ورأسين من الجراك المخصوص وبرَّادًا من النّعناع الطَّائفي وآخر من الشَّاي (عبي وركي) وهو طريقة لصنع الشَّاي بأن يُغْسَل الشَّاي أوَّلًا بقليلٍ من الماء الحار، ومن ثَمَّ يُعَبَّأ البرَّاد بالماء الحار دون وضعه على النَّار ويقدَّم للزّبون، واشترط عليه أن يقوم هو على خدمتهم.

انفردا في الجلسة وبدأ "حامد" الحديث: خلّينا نفكّر بصوتٍ عالٍ.

"وضَّاح" مازحًا ليخفّف الجوَّ عن صديقه: نصرخ يعني... ونلم الزّباين علينا.

حامد: تعرف قصدي وخلّينا نتكلّم جد، الوضع حرج والوقت يمرّ بسرعة ونحتاج لخطَّة.

وضَّاح: هات ما عندك.

حامد: أنا أفكّر كيف نتأكّد من أنَّ "عمَّار" ما هو مرسول من المباحث؟ هذا أوّل شيء والثَّاني نتأكّد أنّه ما يحمل أيّ جهاز تسجيل أو إرسال.

وضَّاح: بق يعني.

حامد: عليك نور.

وضَّاح: وثالثًا؟

حامد: ثالثًا المكان والوقت.

وضَّاح: فيه رابعًا ولَّا نبدأ النِّقاش؟

حامد: خلّينا نفكّر في هذي النِّقاط وبعدين نكمل النِّقاط الأخرى.

وضَّاح: أجل نبدأ من ثالثًا، تتَّصل بـ"عمَّار" وتطلب منه المقابلة بكرة في المساء منها يطمئن ومنها تكون قضيت مع "مناحي" وقت تعرف منه ويش عنده.

حامد: الوقت بعد صلاة العشاء على حدود السَّاعة عشرة في المساء، بس المكان فين؟

وضَّاح: إيش رأيك في المزرعة اللي على طريق الليث؟

حامد: والله فكرة جهنَّميَّة... أروح أنا الأوّل ويكون الطَّريق مراقب حتَّى ما يتبع أحد "عمَّار".

وضَّاح: بس لو "عمَّار" قال لهم على أحد من التَّنظيم ما يعرف غيرك، وبالتَّالي رجال المباحث راح يراقبوا كلّ الأماكن اللي مملوكة باسمك أو اسم أقاربك!

حامد: صحيح بس مزرعة الليث ما هي مكتوبة باسمي ولا باسم واحد من أقاربي ولا حتَّى مكتوبة باسم واحد من عمَّالي السّعوديين أو الموظّفين بالشّركة أو حتَّى من أصدقائي، عشان كدا قلت لك فكرة جهنميَّة.

وضَّاح: أجل مكتوبة باسم مَن؟

حامد: باسم راعيها لا تخرج عن الموضوع مو وقته تحقّق معايا، احنا موضوعنا مو موضوع المزرعة والخلاف عليها، نزل شربوش شيشتك لا تتحرق.

وضَّاح: أبشر، ها خلّينا ثالثًا نرجع لأوّلًا.

حامد: تتّصل أنت بـ"عمَّار" من شريحة من شرايح الهنود أو الباكستانيين اللي غادروا مغادرة نهائيَّة على إنّك أنا من غير ما تقول اسم وتبلّغه عن الموعد، بس كيف راح يجي هذا من جهة، ومن الثَّانية كيف نتأكّد أنَّه ما عنده جهاز تنصّت قبل ما يوصل للمزرعة.

وضَّاح: بسيطة.

حامد: كيف؟

وضَّاح: تقول إنّه جاك المعرض متنكّر على شكل حرمة مع واحدة ثانية.

حامد: صح.

وضَّاح: خلاص نرسل له عليوة بالتَّاكسي ينتظرهم في شارع عبد الله عريف عند الحديقة الصّغيرة اللي جنب البنك وكلمة السّر نبي بيت

"أم عليوة"، وهو يرد عليهم على راسي يا خالة ونعطي "عمّار" رقم التّاكسي حتّى يتأكّد مليون في الميّة.

حامد: ممتاز، والله مخّك ما يجي غير على الجراك كمّل...

وضّاح: أبدًا يأخذهم على أذان العشاء لما تقفل المحلّات للصّلاة، ويروحوا على شقّة "أم عليوة" هناك "أم عليوة" تقول لـ"عمّار" يدخل من الباب اللي بين الشّقّتين على عيالنا، يطلبوا منه يغيّر من شخصيّته ويلبسوه ثوب ولد، ويخرجوا معه بعد ما يتأكّدوا إنّه ما هو ملغّم، يركبوه السّيّارة (الفان) حقت البضائع ويركب معه واحد ولّا اثنين منهم، ما راح يشوف شيئًا، يدور في شوارع مكّة شوي حتّى ما يعرف وين الاتجاه ولا ويش الدّبرة، وبعدين يأخذوه على المزرعة.

حامد: ممتاز... بس افرض أنّ الجهاز في الأمانة؟!

وضّاح: ويش المانع إنّهم يفتّشوا الأمانة!

حامد: نفترض إنّه رفض وقال ما أسلّمها غير للزّعيم.

وضّاح: يرجعوه لـ"أم عليوة" اللي تصرخ أنّه راجل متنكّر في ثياب حرمة دخل عليها راح يتلمّوا الجيران ويلعنوا سافل اللي خلّفوه قبل ما تتدخّل الشّرطة حتّى الشّرطة لو تدخّلت، الشُّرطة غير المباحث... هذا إذا كان متعاونًا مع المباحث، والتّنسيق بين الاثنين خبرك فيه ويا حبيبي لو جت هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والعمدة وعيال حارة (دحلة الولايا) عينك تشوف النُّور، وحلّني يكونوا العيال شردوا من الشَّقَّة وتفتح "أم عليوة" الشّقّتين على بعض على أنّها هي المستأجِرة للشَّقتين عشان عيالها وبناتها لما يجو عندها و"أم عليوة" حرمة معروفة في الحارة إنّها شقّت على عيالها وكبّرتهم وزوّجت اللي تزوّج منهم وعايش معها بعض من أولادها

وأحفادها حتَّى النَّاس مصدّقة أنّ "أم عليوة" هي اللي اشترت سيَّارة عليوة التَّاكسي.

حامد: والله أنت خطير.

وضَّاح: قلت لك الهرج يبغى له روقان وجراك مخصوص.

حامد: بس احنا اللي دفعنا قيمة سيَّارة عليوة وإيجار الشَّقَّة.

وضَّاح: صحيح و"عليوة" و"أم عليوة" يعملوا معنا، بس أقول لك ويش النَّاس مصدّقة، هذا هو المهم.

حامد: خلاص وصلني البيت ونفذ وطمّني بكلمة (تم).

***

عاد "حامد" إلى خلوته بعد أن أدَّى صلاة المغرب، وعاد إلى ملف التَّقرير قبل أن يلاقي في الموعد المحدّد "مناحي" وأخذ يقرأ:

وفي مشهد آخر يتم إرسال بعض الكوادر الجاهزة من هذه الفئات المختلفة للخارج فلسطين، أفغانستان، لبنان، الشّيشان ودول إسلاميَّة أخرى، خاصَّة تلك التي تتوافر فيها قلاقل إمَّا للمراقبة والتَّابعة منتهزين توصيل الإعانات لتلك الدّول أو التّجارة أو المقابلات على شكل مراسلين وصحفيين ومصوّرين، وطرق مختلفة، أو للاشتراك الفعلي للبعض لكسب مزيد من الخبرة الميدانيَّة، وذلك عن طريق تسفيرهم لتلك الدّول، وعمل جميع التَّسهيلات اللازمة من تزوير في أوراقهم الرَّسميَّة لتسهيل مرورهم عبر الحدود.

أمَّا فيما يتعلَّق بخطّة التَّنظيم المالي فإنَّها تقوم على فلسفة إعادة هيكلة التَّنظيم على شكل هرمي، وتقسيمه إلى أقسام نوعيّة وجغرافيَّة، يتولَّى مسئوليّة كلّ منها أحد العناصر الموثوق فيها، وتحصيل اشتراكات شهريَّة من

الأعضاء، وتجمع بعض الأموال عن طريق التَّبرُّعات من المواطنين، وذلك عن طريق متخصِّصين مدرّبين في إقناع أصحاب النّفوس الكريمة من الأثرياء (هناك قوائم معدَّة بأسماء التُّجَّار والمحسنين ويتم مراسلتهم على عناوينهم، خاصَّة في شهر رمضان مع إبراز أهميّة الصَّدقات في هذا الشَّهر الفضيل وبعض الآيات والأحاديث التي تحث المسلم على التَّبرُّع لعمل الخير! أو عن طريق جماعات أخرى لبيع بعض السَّندات كصدقة جارية أو عند المساجد خاصَّة بعد صلاة الجمعة، حيث يتكاثر المصلُّون وخلافه من الوسائل المتعدِّدة لجلب هذه الأموال وتمريرها عبر إجراءات رقابيَّة محدّدة لحسابات متنوّعة وكذا يتم جلب الأموال عبر السَّيطرة على الجمعيَّات الخيريَّة المدعومة من الدّولة من أجل الاتصال المباشر بالجماهير من جهة، وإدخال بعض من هذه الأموال في حساب الجمعيَّات، والبعض الآخر يتم إدخاله في حسابات مختلفة للتَّنظيم حسب الأوامر والتَّوجيهات، وهذه تُسمَّى خطّة (التَّمكين)، وهي أن تقوم عناصرهم بالتَّبرُّع للعمل في هذه الجمعيَّات ويعملون بإخلاص وتفانٍ من أجل الجمعيَّة حتَّى يتمكَّنوا منها.

أمَّا ما يتعلّق بجانب التَّجنيد السَّابق ذكره تشير التَّقارير إلى أنَّ هناك اختراق للقاعدة الطُّلَّابيَّة في مختلف مراحل التَّعليم، واستقطاب عناصر جديدة منهم لضمِّهم للتَّنظيم من قبل الجماعات، وهناك أنشطة في غاية الذّكاء والمهارة، خاصَّة تلك الموجَّهة للشَّباب الجدد والطُّلَّاب والطَّالبات في الجامعات، وذلك عبر تسهيل حياة الطَّالب الدّراسيَّة، خاصَّة القادمين الجدد من القرى والمناطق الفقيرة، كمساعدتهم في التَّسجيل عبر شبكة من العلاقات المعقّدة، وتسهيل إجراءات قبولهم واستخدام الشَّبكة العنكبوتيَّة (الإنترنت) وكلّ هذه الوسائل موجودة في وثيقة تُسمَّى تجاوزًا (الفتح

العربي) أو (فتح عرب)، حيث أنشئت العديد من المواقع في الشَّبكة العنكبوتيَّة، والجماعات استفادت من الثَّورة المعلوماتيَّة والتَّقدُّم التّقني في هذا المجال لتحقيق الانتشار المطلوب، وذلك ضمن خطَّة متكاملة شاملة تقوم على سياستي (التَّدرّج والنَّفس الطَّويل) أسرع من الحكومات العربيَّة، وذلك لعدم وجود بيروقراطيَّة عالية الجودة مثل تلك التي تتمتَّع بها الحكومات العربيَّة، فعامل الزَّمن مهم بالنِّسبة لسباق التَّسلُّح المعرفي والمعلوماتي في ميدان الصّراع، ومن هذه المواقع الموجودة على الشّبكة العنكبوتيَّة تتم مساعدة الطّلَّاب الجامعيين كما أسلفنا وتقديم الخدمات لهم في كلّ شيء تقريبًا، حيث تقدّم للطّلَّاب مواد دراسيَّة مميّزة، طباعة ملازم، جداول محاضرات، مواعيد الامتحانات، ملخّصات لجميع المواد بأسلوب واضح وبسيط جدًّا، أبحاث، ولجميع الجامعات والكُلّيَّات طب بجميع تخصّصاته عام أو أسنان، صيدلة، علوم، هندسة، زراعة، تربية، اقتصاد، إدارة أعمال، محاسبة، قانون، والمعاهد الفنيَّة والتّقنيَّة والإداريَّة وعلى جميع المستويات، مرورًا بالمدارس على جميع مستوياتها حتَّى رياض الأطفال من الجنسين! كذلك إمكانيّة تحميل كافّة المحاضرات، وتقديم شرح تفصيلي للنِّقاط المهمَّة داخل المحاضرات! ومن خلال ذلك يتم نشر الفكر بطرق مختلفة منها تطعيم المواد بأبرز الأفكار الضَّروريَّة للتَّنظيم، يتم ذلك من خلال الصّور ذات الجودة العالية، وتكاد تصل درجة مهنيّتها ما يقدّمه موقع السي – إن – إن للأخبار وهذه المواقع مصمّمة بشكل أخَّاذ (طالب مبتسم) أو شعار (قاوم تكن) ويمكن من خلال هذه المواقع تحميل بعض الأغاني والأناشيد الحماسيَّة، والشِّعر والزَّجل الحماسي، عمليَّات ظاهرها البراءة وباطنها الإعداد للمتلقِّي، أو التَّشويش على ذهنه، كما يطلب من المتلقِّي نقل بعض من هذه المواد عبر الرَّسائل

وهكذا تصل لملايين المتلقّين من الجنسين، وقد قدّر ما يدخل لبعض من هذه المواقع بأكثر من أربعة ملايين زائر!

كما ابتكرَ القائمون على هذه المواقع بعض التَّسميات الشَّبابيَّة (الطَّالب مول) وهو عبارة عن مكان يتم فيه بيع وشراء الأجهزة والبرامج الدّراسيَّة بثمن رخيص للمتردِّدين، وتضم هذه المواقع ما يُسمَّى بـ(الرَّابطات) مع المواقع الصَّديقة على مستوى جميع القرى والمدن من أجل توسيع قاعدة (التَّعارف) بينهم أو المتعاطفين معهم، وعن طريقها يتم تجنيد فئات جديدة أخرى، وبعض هذه المواقع الصَّديقة تبثّ المواعظ الدِّينيَّة والأخرى النِّقاشات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة الخارجيَّة منها والدَّاخليَّة، خاصَّة تلك التي تؤثِّر على حياة الشّعوب في حياتهم المعيشيَّة تحت اسم (منبر الطَّالب) (بيوت الله) (المنابر) (مَن أنت) (مَن نحن) (خير أمَّة)، وهنا يظهر التَّعريف بالجماعة، والجماعة هنا استغنت عن الملصقات والكتب المكلِّفة في طباعتها ونشرها وتوزيعها لما فيه من الخطورة على حياة أفرادها أو الظُّهور في الجامعات، وذلك باستخدام أحدث وسائل التّقنية الجديدة، وتقوم هذه المواقع بالإعلان عن مواعيد وأماكن الحفلات والاحتفالات وتطلب من المرتادين الذّهاب والمشاركة ودعوة أصدقائهم، إمَّا عن طريق إرسال رسائل عبر البريد الإلكتروني أو عن طريق رسالة قصيرة عبر الجوَّال أو المحمول أو النَّقَّال حسب مُسمَّى كلّ دولة حتَّى يتمكَّن أكبر عدد من الطّلَّاب والمتعاطفين معهم من المشاركين في هذه الحفلات والاحتفالات ليكون لهم الأغلبيَّة في كلّ محفل.

وهناك نشاط خاص بالفتيات، فقد تمَّ إنشاء مواقع خاصَّة بهنَّ، وتعتبر هذه العمليَّة بالسِّلاح السِّرِّي للجماعة، وقد قامت أحد المواقع النّسائيَّة في

أحد الدّول الصَّديقة بإعداد ندوة كاملة عبر الإنترنت باسم الإعلام البديل لمساندة العراق وتقديم فيلم تسجيلي عن حياة الرَّسول "محمَّد" ﷺ، كَتَبَ سيناريو هذا الفيلم طالبات من أحد الجامعات هناك تحت إشراف دكتورة في الجامعة نفسها.

وعلى ذِكْرِ الدّكتورة التي أشرفت على سيناريو الفيلم، فإنَّ الجماعات قامت بتجنيد العديد من أساتذة الجامعات، البعض منهم يعلن وبفخر انتماءه للجماعة، والبعض الآخر يعمل في الخفاء، ولما للأستاذ الجامعي من القدرة الهائلة على التَّأثير على الطّلَّاب في زرع الفكر التَّنظيمي والتَّجنيد واستغلال صلاحيَّاته في التَّدريس والتَّحكُّم في مصير الطَّلبة نجاحًا ورسوبًا وتميّزًا وحتَّى أنَّ من حقِّه ترشيح المعيدين، وتشير تقارير المخابرات في تلك الدَّولة إلى وجود مائة عضو هيئة تدريس ومعهم حوالي ثلاثة آلاف مساعد من الطَّلبة والإداريين في جامعة واحدة فقط غير الجامعات والمعاهد والمدارس الأخرى، وتعجّ التَّقارير بأسماء معيّنة (هناك قائمة بالأسماء في الملحق المرفق) في مختلف هذه الدّور التَّعليميَّة والتَّدريبيَّة ذات نشاطات واسعة ومؤثِّرة، ويستخدم الأساتذة وسائل متعدِّدة للضَّغط على الطّلَّاب وجذبهم وتجنيدهم مثل التَّغاضي عن الغياب والحصول على تقديرات عالية، وإعدادهم ليكونوا معيدين في الجامعات، تمهيدًا لأن يقودوا المسيرة في الجامعات في المستقبل عندما يصبحوا أساتذة فيها.

ثمَّ هناك الخلايا النَّائمة وهو الجيش السِّرِّي...

أذان العشاء يقطع "حامد" عن تكملة التَّقرير الذي بين يديه، يقرؤه بتمعّن شديد ويقف عند كلِّ نقطة من نقاطه ويلخِّص ويشير إلى بعض النِّقاط التي يمكن الاستفادة منها في التَّنظيم؛ فهو قد لاقى في يومه هذا الكثير

من العمل والجهد، وغدًا يوم له همومه وجدوله؛ فيجب عليه أن يؤدِّي صلاة العشاء في الحرم، ومن ثَمَّ الخلود للنّوم استعدادًا ليوم حافل بين العمل ومقابلة كلٍّ من "مناحي" و"عمّار"، كلٌّ على حدة.

***

"ماهر" الذي فاجأ "مرسيدس" في اليوم التّالي بسؤال لم تكن تتوقّعه.

ماهر: هل تعيشين فترة حب؟

"مرسيدس" التي عقدت المفاجأة لسانها تحاول أن تفكّر وبسرعة في جواب، لم يسعفها غير أنّها لجأت إلى سياسة ردّ السُّؤال بسؤال آخر: لماذا تسأل مثل هذا السُّؤال؟

"ماهر" وهو يركّز في عينيها ورقبتها كأنّه محقّق متمرِّس: دعيني أعيد صياغة السُّؤال... هل هناك ما يشغل بالك؟

"مرسيدس" بعد أن بلعت قليلًا من ريقها وتحاول كسب الوقت بالمراوغة: وأنا أعيد السُّؤال نفسه؟

ماهر: لاحظت أنّك ساهمة خلال الفترة السَّابقة.

مرسيدس: كيف؟

ماهر: بعض الأخطاء في العمل والسَّرحان عندما تكونين معي.

مرسيدس: ولكن لم ألحظ أنا ذلك؟

ماهر: وهذا هو ما دعاني لسؤالك، فأنا لن أسأل مثل هذا السُّؤال لموظّف يعمل في شركتي لو أنّه لاحظ بنفسه ذلك.

"مرسيدس" وقد بدت مشوَّشة نوعًا ما: لم تجب على سؤالي... كيف عرفت؟

ماهر: قلتُ لكِ بعض الأخطاء والسَّرَحان، عندما بدأت العمل منذ أكثر من عشرة أشهر من الآن، عملتُ على ترتيب الملفَّات بطريقة منظَّمة، تساعد الموظّفين وتساعدك في السُّرعة على العمل، ولكن في الآونة الأخيرة اشتكى لي بعض الموظّفين بأنّكِ تبعثين ملفَّات لم يطلبوها ومن ثَمَّ يعيدونها لكِ مرَّة أخرى مع كتابة ملاحظة على الملفات المطلوبة، وقد قمت بالتَّفتيش على الملفات فوجدت أنَّ بعضها وُضِعَ في أماكن غير الأماكن التي من المفترض أن تكون بها.

"مرسيدس" وقد أحرجها الموقف أكثر: وهل تقوم بالتَّفتيش في مكتبي؟

ماهر: أنا أقوم بتفتيش مكاتب الشّركة كلّها لأنَّها ملكي، وهذا حقٌّ من حقوقي للاطمئنان على سير العمل، ومكتبكِ يا سيّدتي هو أحد المكاتب، ولا يوجد استثناءات لديّ في العمل، أم أنَّ لكِ رأي آخر؟

مرسيدس: لا... ولكن هذه أخطاء بسيطة يمكن أن تحدث في أيّ شركة! ومن أيّ موظَّف أرشيف.

"ماهر" بنوع من الحزم: لا يا سيدتي إلَّا في شركة من شركات "سالم سلمان" وموظَّفة ماهرة مثلك تملك من المواهب الكثير، والجديَّة في الأداء، وكما تعلمين بأنَّ هذا يؤدِّي لتأخير ترقيتك في العمل، والتَّقليل من نسبة الزّيادة السَّنويَّة في الرَّاتب (المعاش)، وهذا لا ترغبين أنتِ فيه ولا أنا!

مرسيدس: الحقيقة سيّد "سلمان" أنا آسفة.

ماهر: وأنا أتقبَّل أسفكِ بصدر رحب... ولكن دعينا نعود للسُّؤال.

مرسيدس: الحقيقة ما يقلقني هو صحَّة والدتي.

ماهر: أنا قبلتُ أسفكِ ولكن أعتقد أنَّ والدتك تعاني منذ مدّة وقبل أن ننعم بوجودك معنا في الشّركة، بل بالعكس أنتِ قريبة من والدتكِ أكثر منذ التحاقك معنا، فلن أقبل هذا العذر، ابحثي عن الحقيقة في نفسك كي نحاول كأصدقاء وليس كصاحب عمل وموظّف أن نضع له الحلول المناسبة قبل أن يتفاقم، فأنتِ تعرفين أنَّنا أصدقاء أو هذا ما أشعر به أنا على الأقلّ.

مرسيدس: حتَّى أنا أكنّ لكَ كلَّ الاحترام والإعجاب!

ماهر: ما هو الجديد؟

مرسيدس: لا شيء سيّد "سلمان" لا شيء، صدّقني فترة عصيبة وستمر.

ماهر: هل هذا يعني عدم ثقتكِ في قدراتي على حلِّ مشكلةٍ ما؟

مرسيدس: سيّد "سلمان" لا أقصد هذا البتة ولكن...

قاطعها ماهر: ولكن... هل هي مشكلة خاصَّة لا تريدين بحثها مع أيّ شخص أم لا تريدين بحثها معي أنا خاصَّة!

مرسيدس: سيّد "سلمان" لا تحاول أن تجعل من مشكلة صغيرة موضوعًا مهمًّا بهذه الدَّرجة أرجوك.

ماهر: الموضوع في رأيي المتواضع مهمٌّ من ناحيتين، أوَّلًا أنَّه في شركتي، وثانيًا لموظّف من موظَّفي الشَّركة، وأستطيع أن أضيف ثالثًا أنَّكِ لستِ أيَّ موظَّف... أنا وأنتِ وجميع الموظَّفين نعرف ذلك، برغم أنَّ علاقتنا لا تشوبها أيَّة شائبة، بل هي علاقة صديقين ناضجين.

مرسيدس: هذا صحيح، ولكن سوف أحلّ هذه المشكلة بنفسي.

ماهر: على كلِّ حال إذا أردتِ أيَّ مساعدة في أيِّ وقت، تعرفين كيف تتصلين بي، وأقول لكِ أنَّني أجد راحة نفسيَّة كبيرة عندما نتحدَّث مع بعضنا البعض، بل أنا... أنا.

مرسيدس: أنت ماذا سيّد "سلمان".

ماهر: بصراحة أنا معجب بكِ، وها أنا أعبِّر عمَّا يكنّه قلبي لكِ، وقد أخفيتُ ذلك خوفًا على مشاعري ومشاعرك.

مرسيدس: أشكر لطفكَ واهتمامكَ سيّد "سلمان".

ماهر: أتمنَّى لكِ التَّوفيقَ والنَّجاح.

***

"مناحي" الذي ترك تبوك على أوَّل طائرة متَّجهة إلى جدَّة توجَّه إلى مكَّة وتقابل مع "حامد" في المكان والموعد المحدّدين، تركا هاتفيهما في السَّيَّارة وترجَّلا دون أن ينبث أيٌّ منهما بكلمة، وأخذا يسيران على قدميهما منطقة واسعة من عرفات، بدأ "حامد" الحديثَ مرحِّبًا:

حامد: الحمد لله على السَّلامة.

مناحي: الله يسلّمك.

حامد: خير ويش عندك.

مناحي: سمعتُ أنَّ واحدًا هرب من المعتقل.

حامد: هذا خبر ولا تستفسر؟!

مناحي: أكيد واحد من المعتقلين المهمِّين هرب؛ لأنَّ التَّحقيقات وتكثيف التَّفتيش يدلّ على صحَّة الخبر.

حامد ببلاهة: ومَن اللي تعتقد إنّه هرب؟

مناحي: أغلب الظَّنّ "عمَّار" خوي "عاصم".

حامد: ظن ولا يقين؟!

مناحي: والله ما أقدر أقول يقين، العمليَّة متكتّمين عليها الرَّبع يقولون انفجار في الشَّرقيَّة.

حامد: وعملاؤك اللي في الشَّرقيَّة ما قالوا شيئًا؟

مناحي: شكلك هادي، ما هو بالعادة؟

حامد: ما عندك شيء يقلقني.

مناحي: هروب "عمَّار" ما يقلقك؟!

حامد: إذا هرب "عمَّار" أو ما هرب ما يقلقني شيء، "عمَّار" لا أعرفه ولا يعرفني.

مناحي: وإذا كان المرحوم "عاصم" قال له عنك، و"عاصم" أكثر واحد فينا يعرفك شخصيًّا لأنّك أستاذه.

حامد: احتمال والاحتمالات كثيرة.

مناحي: نفرض أنّه عطاه علم عنك قبل ما ينتحر، ووصاه يحلّ محلّه في التَّنظيم ويتَّصل فيك ويبايعك وينتظر أوامرك، ما كان يعرف أنَّ "عمَّار" راح يقفش من قبل المباحث ويعتقل، فهرب عشان يوصل لك أو... (وصمت).

حامد: أو إيه... كمّل!

مناحي: أو تعاون مع المباحث وأبرم معهم صفقة عشان يوصلوا لنا.

حامد: وأنتَ ويش رأيك؟

مناحي: في إيش!

حامد: هرب ولا هرَّبوه؟

مناحي: خمسين... خمسين... إذا كان الهارب "عمَّار".

حامد: يعني ممكن يكون غير "عمَّار"؟

مناحي: احتمال.

حامد: نفترض إنّه "عمّار" وجاني، لو كنت مكاني تقابله ولّا؟

مناحي: ولّا.

حامد: يعني... ترفض مقابلته!

مناحي: بالتّأكيد هو ما قط شافك ولا يعرفك، لو أيّ واحد قابله غيرك وادّعى إنّه "أبو سفيان المكّي" راح يصدّق المسكين.

حامد: تعتقد إنّه ساذج لهذه الدّرجة، وراح يقابل واحدًا ما يعرفه ويتكلّم معه عن التّنظيم دون ما يتأكّد أنّه أنا ولّا... أنا راح أقابله دون ما أتأكّد إنّه الشّخص المرسل من المرحوم فعلًا.

مناحي: السُّؤال... كيف راح يتّصل بك؟

حامد: يمكن بالهاتف... هاتف الثُّريّا، إذا كانت نظريّتك صحيحة و"عاصم" وصّاه زي ما قلت، لابدّ أنّه عطاه رقم الثُّريّا وشيفرة ولّا!

مناحي: بالتّأكيد، بس هذا برضه ما يمنع إنّه ما يعرف شكلك، ممكن يتّصل بك، اليوم بكرة بعده الله أعلم متى؟ وتواعده وترسل واحد ثاني يقابله ويعرف منه ويش عنده ويستمرّ اتصاله مع هذا الشّخص حتّى نتأكّد من الرِّجال.

حامد: معقول... كلامك معقول، بس افرض أنّه عرفني... عرف شكلي.

مناحي: كيف؟

حامد: "عاصم" كان دايم يمر عليّ كَزبون في معرض الذّهب، وكنتُ أستلم منه المبالغ وأعطيه الذّهب قدّام النّاس كأيّ زبون، ويردّ الذّهب بعدين

وأعاود أبيعه وأنت اللي علّمتني هذه الطَّريقة صح عشان تغسيل الأموال اللي بالي بالك؟

مناحي: صح!

حامد: افرض إنّه مرَّة من المرَّات جاب "عمَّار" معه وأنا ما أعرف "عمَّار"، وقال له تعال معي عشان تعرف شكل الشَّخص اللي راح تقابله وأنا توفيت في الحالات القصوى وهو رئيس التَّنظيم، وقال له ادخل على المحل على أساس إنّك زبون، راح يخدمك واحد من عمَّال المحل، وناظرني لما أدخل المعرض الشَّخص اللي يقابلني ويكلّمني هو رئيس التَّنظيم وبكذا عرف شكلي.

مناحي: ريس بمعنى الكلمة، جائز.

حامد: لاحظ كلامنا كلّه افتراضات، ما عندنا علم حقيقي نبني عليه، كيف تتصرّف؟

مناحي: أجل... لابدَّ في حالة اتّصاله بك تقابله!

حامد: فين وكيف؟

مناحي: والله مشكلة.

حامد: زي ما قلت احتمال يكون "عمَّار" واحتمال ما هو "عمَّار"، إذا كان "عمَّار" فـ"عمَّار" أصبح خطرًا يهدّدنا، ويجب أن نتخلّص منه (قال كلمته الأخيرة وهو ينظر في وجه "مناحي" لقراءة مدى تأثير الكلمة عليه).

مناحي: ألف لحية ولا لحيتي، خاصَّة إنّنا ما نعرف الرّجال وما بيننا وبينه شيء، بس كيف؟

حامد: حادث مروري شنيع مثلًا.

مناحي: أنا عندي فكرة.

حامد: هات ما عندك.

مناحي: قابل الرِّجال واحذر ما يكون ملغّم بجهاز تسجيل أو تنصّت، وخذ ما عنده، وأمره ما يتحرَّك في مكان إلَّا ويبلغك عن طريق الشّيفرة وينه فيه، وخلّك على اتصال معي بالشّيفرة، أقول لك وش تقول له ويقابل مَن؟ وفين؟ وأنا أرتّب له موتة ما يعرف عنها إبليس.

حامد: كيف.

مناحي: خلّه يكون في الرِّياض، وهناك خليَّة تتولَّى أمره.

حامد: خليّة مَن؟

مناحي: خليَّة من خلايانا، متخصِّصة في التَّصفية الجسديَّة بطرق جهنَّميَّة.

حامد: بس لازم تبلغني عن الخطَّة قبل ما تنفّذوها وهذا أمر.

مناحي: سم طال عمرك.

حامد: ما أبغى شوشرة ولا فشل، أبغاه المرحوم "عمَّار"، تتأكّد أنّه مات، ما نبي نلاحقه في المستشفيات، ما أبي ولا خيط يدل على الجناة، أبي الجريمة الكاملة، والكامل وجه الله، عشان كذا أبيك ترسل لي الخطَّة مفصَّلة التَّفصيل الدَّقيق عشان أدرسها دراسة وافية، ولما أعطيك الأمر بالتَّنفيذ تنفّذ بأسرع وقت، هذي أوّل عمليَّة من هذا النّوع.

مناحي: تأمر طال عمرك.

حامد (منوّهًا): هذي كلّها احتمالات!

مناحي: بالتّأكيد.

حامد: في شيء ثانٍ ودك تقوله ولا؟

مناحي: الحقيقة عندي موضوع الاستثمار، موضوع بعيد شوي عن موضوعنا، إذا حبّيت أقولك عليه ولا نخلّيه في وقت ثانٍ.

حامد: موضوع الاستثمار يبي له تركيز وتحضير أرقام وحسابات، وأنا مشوّش بالأخبار المشوّشة اللي جبتها الله يحيك، خلّها مرَّة ثانية وبرواقة نتكلّم فيه.

مناحي: على خيرة الله... إذا سمحت وما عندك شيء تأمرني به خلّنا نعود.

حامد: عندك وقت تقضيه في مكَّة.

مناحي: خير.

حامد (بحدَّة): عندك وقت؟

مناحي: إيه ما خذن إجازة باقي فيها ثلاثة أيَّام مع الخميس والجمعة، أدوام السَّبت في الرِّياض.

حامد: ممتاز... تعبّد في الحرم وخلّك على اتّصال.

مناحي: أمرك.

حامد: ما يأمر عليك ظالم، أذكّرك ونفسي لا تتكلّم ولا كلمة في السَّيَّارة.

مناحي: أبشر.

***

"مرسيدس" بعد أن تركت "ماهر" تحدّث نفسها معيدة في ذهنها شريط المقابلة التي أربكتها وخلصت إلى أنَّ الرَّجل (ككتاب في علم النَّفس) كلَّما تقرأ فيه أكثر تُصاب بانفصام في الشَّخصيَّة، وتتوه في تحاليل لا تنتهي، لماذا تغيَّرت لهجته معها؟ هل شكَّ في شيء؟

ذكي؟ نعم!

فطن؟ نعم!

التَّعامل مع هذه الفئة من الرِّجال يحتاج إلى مثابرة وهدوء، مع حُسْنِ التَّصرُّف وإلَّا فإنَّ عواقبه وخيمة قد تصل للتَّصفية الجسديَّة، فمَن وضعه هنا لابدّ أنَّه يراقبه عن كثب، وبالتَّالي فإنَّ كلَّ مَن حوله تحت المجهر، إنَّ عملها كعميّلة للاستخبارات الأمريكيَّة لم يأتِ من فراغ أو عن طريق الصُّدفة أو المجاملة بل لذكائها ونجاحاتها السَّابقة التي جعلت القيادة هناك في واشنطن، تكلّفها بمراقبة "سالم سلمان"، رسمت الخطَّة ونجحت، وها هي من أعزّ بل من أقرب الأشخاص لهذا الغامض القادم من المنطقة الحارَّة بطقسها وأحداثها، كتبت عن شخصيّته الكثير، وحلَّلت هذه الشَّخصيَّة بكلِّ ما أوتيت من العلم والمعرفة في هذا المجال وهو لعمري ليس بالقليل، إنَّه لا ينام أكثر من خمس ساعات في اليوم الواحد، من مساء السَّبت لا يفكِّر إلَّا في اللهو والمرح ويقضي معظم الآحاد في رحلات ممتعة كانت تشاركه في بعضها بطلب منه، كصيد السَّمك، مرح حتَّى ولو لم يحالفه الحظّ في صيد شيء ما يقول (الحلوات اليوم ما يبو يأكلوا)، ويضحك لأنَّ لها مغزى عنده فهو يشبِّه صيده للسَّمك بصيده للنِّساء، أو التَّسكُّع في الغابات، يجري كالأطفال الأبرياء ويختبئ لتبحثَ عنه بين الأشجار أو يطلب منها الاختباء ليبحث عنها، وعندما تجده أو يجدها يضحك من قلبه كطفل ضحكة صافية تهزّ المشاعر وكأنَّ هذا الرَّجل ليس لديه مشاكل، أو الاستلقاء على شواطئ المحيط يبني بيوتًا من الرَّمل ويهدمها ليعيد بناءها بسعادة غامرة، وضحك كموسيقى الحياة عندما يداهمها الرَّبيع بخضرته وبراعم أزهاره وتفتُّح زنابق وروده، لا يتحدَّث عن العمل في أوقات الإجازات الأسبوعيَّة أو عن أيّ مواضيع مهمَّة، لا يزور وطنه الأصلي إلَّا في القليل النَّادر من العام، وفي أوقات مختلفة ولمدد قصيرة لا تتعدَّى عشرة أيَّام، يعود بعدها أكثر حيويَّة

ونشاطًا وتفاؤلًا وثقة في النَّفْسِ، بعكس رحلاته للولايات الأمريكيَّة التي يأتي منها مهمومًا يختفي بعدها ليوم كامل لا أحد يعرف عنه أين؟ أو ماذا؟ يعمل في تلك الفترة، يعود بعدها إلى العمل متجهمًا، ورويدًا رويدًا يعود لطبيعته الرُّوتينيَّة، شخصيَّة عامَّة معروفة في المجتمع التّشيلي، وحسب التَّقارير التي طلبتها من رئيسها عنه من اليمن وقرأتها بتمعُّن أنَّه معروف في اليمن في قريته، مشهور بثروته التي لا غبار على مصدرها؛ فله تجارته التي يديرها فريق متمكِّن بتنظيم أقرب لتنظيم الشَّركات الغربيَّة النَّاجحة، يرأسهم شخصيَّة متعلِّمة من منطقة تُدْعَى حضرموت، وهذه المنطقة مشهورة بامتهان أهلها للتِّجارة وإدارة الأموال والأعمال والأمانة، وُلد في السُّعوديَّة ومات والده وهو يحمل الجنسيَّة اليمنيَّة؛ لذا عاد بثروة والده لليمن، يتحدَّث الانجليزيَّة بطلاقة وبلكنة مختلطة بين عربيَّة بدو الجزيرة العربيَّة خليط بين اللكنة الأمريكيَّة والبريطانيَّة، فلا تعرف هل هو خريج أكسفورد البريطانيَّة أو جورج تاون الأمريكيَّة، وله جمعيَّة خيريَّة لمساعدة الأيتام، يتبرَّع لها بسخاء، بنى مسجدًا باسمه ملحق به مدرسة لتحفيظ القرآن، يكتب في أحد الصُّحف اليمنيَّة مقالًا يوميًّا، مشابهًا لمقالاته التي يكتبها في الصَّحيفة التّشيليَّة ولكنَّه موجّه لليمنيين بصفة خاصَّة والعرب بصفة عامَّة، ويصرّ على وضع الصُّورة نفسها وفي المكان نفسه الذي توضع فيه صورته في الصَّحيفة التّشيليَّة، يُستقبل عند وصوله إلى مطار صنعاء من قِبَل كبار مسئولي شركاته، ويخرج عن طريق ممر الشَّخصيَّات المهمَّة، لصالة كبار الزُّوَّار، ومن ثَمَّ لجناحه في فندق سبأ، معروف من قِبَل رجال السِّياسة بأنَّه لا يختلف مع الحكومة، ولم يسجّل له أيّ حديث عن السِّياسة ولا يحب السِّياسة أو السّياسيين، في أحد التَّحقيقات الصَّحفيَّة النَّادرة معه في كبرى

الصُّحف اليمانيَّة عندما سأل عن مسألة سياسيَّة قال: (أنا رجل أعمال ولا أفهم في السّياسة؛ لذا فأنا لا أتحدَّث عن شيء لا أفهمه) معظم المقرَّبين منه من أهل الفنِّ والطَّرَب والأدب، يتعاطى الخمر والنِّساء، لم تشاهده يصلِّي وهي تعلم أنَّ المسلم يجب أن يصلِّي خمس مرَّات في اليوم، وإذا كان على سفر يختصرها لثلاث! هذا "سالم سلمان" الظَّاهر فمَن أنت أيُّها المختفي.

***

التَّعليمات واضحة ل"وضَّاح"... الاتّصال على رقم "عمَّار" من هاتف خلوي وعن طريق شريحة لأحد الوافدين الذين غادروا مغادرة نهائيَّة، سمع صوتًا نسائيًّا من الطّرف الآخر:

المرأة البدينة: سم.

وضَّاح: سم الله عدوّك يا خالة.

المرأة: حامد!

وضَّاح: إيه الله يحيك.

المرأة: خير يا وليدي.

وضَّاح: الوالدة تبي تقابلك الله يحيك.

المرأة: وين يا مال الغنيمة؟

وضَّاح: في شارع عبد الله عريف في النُّزهة.

المرأة: وينه فيه، أنا ما أعرف مكَّة.

وضَّاح: أبدًا خذي سيَّارة أجرة وقولي للسَّائق أسواق عبد الله اللي في النُّزهة.

المرأة: أبشر يا وليدي.

وضَّاح: جيبي الدّلالة معك الله يحيك ومعها بقشة البضاعة.

المرأة: خير إن شاء الله خير.

وضَّاح: عند أذان العشاء لابد تكونوا عند الحديقة اللي جنب البنك.

المرأة : أيّ حديقة وأيّ بنك توّك تقول أسواق.

وضَّاح: إيه جنب الأسواق فيه بنك.

المرأة: إيه.

وضَّاح: وجنب البنك حديقة.

المرأة: خير.

وضَّاح: تلاقوا سيَّارة أجرة تحتريكم هناك.

المرأة: نفس الأجرة!

وضَّاح: لا... أجرة ثانية غير الأولى يا خالة.

المرأة: بس ويشلون نعرف أنّها الأجرة المطلوبة؟

وضَّاح: أبدًا... قولوا للسَّوَّاق نبي بيت "أم عليوة"!

المرأة: ليش ما تحترينا أنت؟

وضَّاح: أنا سيَّارتي خصوصي ولو ركبتن معي حرمتين وقفشتنا الهيئة سين وجيم خاصَّة ما معكم محرم.

المرأة: حسبي الله... افرض إنّه ركبنا ويكون من اللاعبين اللي ما يصدقوا على الله وتركب معهم حرمتين.

وضَّاح: لا تركبوا معه اللين يقول لكم على راسي يا خالة، ولزيادة الاطمئنان رقم الأجرة (ك ل ب ...).

المرأة: توكَّلنا على الله.

وضَّاح: لا تنسي اليوم مع الأذان الأخير.

المرأة: إن شاء الله.

وضَّاح: لو صار شيء كلّميني... هذا جوَّالي عندك.

المرأة: إن شاء الله... في شيء ثاني؟

وضَّاح: أبدًا سلامتك.

المرأة: مع السَّلامة.

وضَّاح: مع السَّلامة.

***

تم كلّ شيء كما خطّط له، تمَّ تفتيش "عمَّار" والأمانة، وتأكَّد الجميع أنَّ "عمَّار" لا يحمل أيَّ نوع من الأجهزة، وقد تمكَّن فعلًا من الهرب، وتقابل مع "حامد" في المزرعة، أخذه "حامد" بالأحضان وكأنَّه من أعزِّ أصدقائه، ضمَّه إلى صدره، فرَّتْ دمعة من عين "حامد"... سالت على خدَّيه، بكى "عمَّار" من الموقف.

حامد: الله يرحم الشَّهيد وعزانا جميعًا فيه.

عمَّار: الله يرحمه ويغفر له.

حامد: رجال الله يرحمه وعرف يختار رجاله.

عمَّار: ما عليك زود يا زعيم.

حامد: قللي تعشّيت ولا تتعشى معي... تراني ما تعشّيت.

عمَّار: زاد وملح مع الزَّعيم شرف الله يطوّل عمرك.

حامد: لا تنسَ أنَّكم يا الشّيعة خوالي.

عمَّار: لا والله وكيف أنسى، المرحوم قال عنك كلّ خير، وكوننا من أخوالكم الله يطوّل عمرك هذا شرف كبير لنا.

حامد (ينادي): سالم.

سالم: سم طال عمرك.

حامد: قلطوا العشاء.

سالم: أمرك سيدي.

حامد (يحدِّث "عمَّار"): الحمد لله على سلامتك يا ثعلب... أنت ثعلب الجزيرة.

عمَّار: لقب أعتز بيه... يحفظكم ربِّي من كلِّ مكروه.

حامد: عندنا الليل بطوله لا تبخل عليَّ بشيء، هِلْ سالفتك من أوّلها لتاليها.

عمَّار: من وين أبدأ طال عمرك؟ من معرفتي بالمرحوم ولا من يوم المداهمة؟... الله لا يعيدها.

حامد: زي ما قلت لك الليل كلّه معنا وراح تنام هنية وباكر تعاود، (متغنيًا) الليلة لك وبكره لك وبعده لك (مقلِّدًا ميَّادة الحنَّاوي في أغنية أنا أعشقك).

عمَّار: ما شاء الله صاحب طرب وأغاني.

حامد: أعرف إنّك لحنت مسرحيَّة زنزانة الفكر وأنت أهل الطَّرب والوناسة.

عمَّار: وحصَّة!

حامد: مَن حصة؟

عمَّار: أخيتي... اللي معي!

حامد: خويتك اسمها حصَّة!

عمَّار: حصَّة الرّوضة طال عمرك.

حامد: من جماعتكم؟

عمَّار : من جماعة الشّيخ شدَّاد.

حامد: تعرَّفت على الشّيخ شدَّاد!

عمَّار: إيه بالله، وهو اللي هرَّبني من الشَّرقيَّة اللين وصلتك.

حامد: هو اللي دلّك عليّ؟

عمَّار: لا والله، اللي عرّفني على فخامتكم المرحوم.

حامد: كيف؟

عمَّار: تبيني أجاوب ولا أهل لك السَّالفة كلّها من يوم فاتحني المرحوم بتكوين التَّنظيم؟

حامد: جاوب على السُّؤال، بعدين السَّالفة قلت لك ليلنا طويل.

عمَّار: لما تأكَّد المرحوم منِّي، صارحني بكلّ شيء وقال لي عن التَّنظيم أنَّه أكبر ممَّا أتصوَّر، وذكر اسمك الأوّل "حامد" ولقبك "أبو سفيان المكِّي" قلت له: أبي أتعرّف عليه، رد عليّ: في الوقت المناسب راح أعرّفك عليه عشان تبايعه.

قاطعهم سالم: اقلطوا العشاء الله يحيكم.

حامد (متجاهلًا نداء سالم وموجِّهًا حديثه لـ"عمَّار" بلهجة آمرة): كمّل قبل العشاء.

عمَّار: أبدًا طال عمرك ما أطول عليك قبل ما ينتحر بأسبوعين تقريبًا قال لي: ما ودك نجيب عمرة سوا؟ قلت: يا ليت السَّاعة المباركة وبعد ما أدّينا العمرة قال لي راح نروح لمعرض مجوهرات في الغزّة... ادخل قبلي راح يخدمك واحد من عمَّال المحل، والمرحوم يدخل بعدي يشتري جنيهات ذهب واللي يخدمه تراه الزَّعيم بشحمه ولحمه وبكذا تتعرَّف عليه، لا تكلّمه ولا يظهر عليك أنّك تعرَّفت عليه، ساوم مع العامل، وإذا عجبك شيء اشتره وتوكّل واللقاء في الفندق، وقبل ما ينتحر بيومين ودّعني وقال إن عندكم

اجتماع خطير خارج المملكة، وخايف من حالته الصّحيَّة، أعطاني الخاتم عشان تتعرَّفوا فخامتكم عليّ وقال: تسلّم الأمانة للزَّعيم وهي عبارة عن معلومات كاملة عن التَّنظيم في الشَّرقيَّة ومبلغ من المال على أن أقابلك وأبايعك إذا حبّيت تعيني قائد الشَّرقية ولَّا جندي أنا في خدمتكم وخدمة التَّنظيم.

حامد: ما قال إنّه راح يقوم بالعمليَّة بنفسه شخصيًّا.

عمَّار: لا والله! تعرف المرحوم بير أسرار.

حامد: تفضّل العشاء لا يبرد وكلّمنا عن السَّالفة كلّها.

عمَّار: تفضَّل الله يحيك.

***

في هذه الأثناء كان "ماهر" في تشيلي، بعد أن عاد وحده في سيَّارته نحو بيته قال يحدِّث نفسه: المرأة مثل (كتاب الفلسفة) كلَّما تبحث فيه عن سؤال تتورّط في أسئلة جديدة، و"مرسيدس" المرأة الغامضة حتَّى في مشاعرها أعمق كتاب فلسفة أحاول أن أقرأه، إنَّها فاكهة النِّساء وهي من بلد غريب ومن نوع غريب وعجيب، صحيح أنَّني لا أرغب في ممارسة الجنس معها ولكنَّها في الوقت نفسه تسحرني بسرقة الوقت منِّي، مَن هي هذه المرأة؟ وكيف تسلّلت حتَّى وصلت إلى ما وصلت إليه من مكانة في نفسي؟... لا أفتأ أفكِّر فيها، في طريقة حديثها، طريقة لبسها، مشيها، سلوكها المتزن مع الجميع... هل أحببتها؟

هل هذا هو الحبّ الصَّافي فعلًا؟

هل من الممكن أن يحبّ الإنسان دون الرَّغبة في الجنس؟

هل من الممكن أن تتكون صداقة بمعنى صداقة بين الذَّكر والأنثى دون التَّفكير في الجنس؟

ماذا يقرّبني منها؟

وماذا يبعدني من طلب ممارسة الجنس معها كغيرها؟

هل هو الخوف بأن أفقدها؟

وماذا أخسر لو فقدتها؟

إنَّها حديقة غنَّاء بل هي كالجنَّة... كلّ ما فيها جميل بدون شهوة... هذه الشَّهوة الحيوانيَّة.

عاد بذاكرته لأوّل لقاء... كيف التقى بها في محطّة القطار، ضحك في نفسه، لتلعثمه في المقابلة الأولى، ومحاولة التَّحرُّش بها وهي في عجلة من أمرها تريد أن تلحق برحلة القطار، كيف أنجذب إليها بالرَّغم من العديد الجميلات اللاتي كُنَّ يلحقن بالقطار أو الأخريات اللاتي كُنَّ ينتظرن مَن يصاحبهنَّ في علاقة مدفوعة الثَّمن عابرة... أي شيء فيها جذبه نحوها؟

جدّيَّتها...

لبسها...

قلقها...

هل هو القَدَر؟

أم؟

أم ماذا؟

صفعه السُّؤال! لم تقم بواجباتك كما أملاها عليك المعلم "أبو سفيان المكّي"، انجرفت خلفها دون البحث في ملفَّاتها القديمة.

هل نسيت أنّك أحد الأعمدة الرَّئيسة في تنظيم سرِّي خطير؟

وأنَّك لا تستطيع أن تعود إلى مسقط رأسك إلَّا بالدِّماء كما خرجت منها ويديك ملوّثة بالدّماء! حكومات العالم... كلّ الحكومات في العالم تبحث عمَّا يُسمَّى بالإرهابيين، خاصَّة من الجنسيَّات العربيَّة والمسلمة، لقد لوّثوا الدِّين والهويَّة بتفجيرهم الآمنين، لقد حكمتم على أمَّة الإسلام بالخوف والرُّعب حتَّى من أنفسهم لما ارتكبتموه من حماقة لم تقدِّروا ثمنها حقّ قدره، أفِقْ أيُّها الحالم الواهم! يجب أن تكون حذرًا، يجب أن لا يقترب أحد منك إلَّا بعد الفحص والتَّمحيص والتَّأكُّد من تورّطه في التَّنظيم لتضمن ولائه التَّام لك، وهذا لعمري لا يأتي إلَّا من خوفه على نفسه وبالتَّالي حرصه على سلامتك.

مَن هي "مرسيدس"؟

امرأة في أوائل العقد الثَّالث من عمرها، ناضجة، قويَّة، متعلِّمة، مثقّفة، سريعة البديهة، تتحدَّث الانجليزيَّة بلهجة أمريكيَّة، والفرنسيَّة بالإضافة للغتها الأصليَّة الأسبانيَّة، تدَّعي أنَّها تعلَّمت اللغات من أجل عملها في السِّياحة.

فهل اقتنعتَ أنتَ بتبريرٍ كهذا؟

مَن أنتِ أيَّتها المرأة؟

هل وُضِعت في طريقي بخطَّة مدروسة؟

من قِبَل مَن؟

الاستخبارات الشّيليَّة!

الأمريكيَّة!

الموساد!

لا يهم مَن هو واضعها، المهم الآن هو وضعها هي، لقد تهوّرت في السَّابق وهرولت خلف وهم المال والغنيمة السَّريع، فها أنت اليوم طريد العدالة،

تهرب من بلد إلى بلد، تتخفَّى وتخاف حتَّى من ظلّك، يقلقك اتّصال أقرب النَّاس إليك؟

لماذا أتَّصل؟

ولماذا الآن؟

وما هو الهدف من الاطمئنان؟

أسئلة تصنعها أوهامك.

لابدّ من اختراق هذه الغازيَّة، لابدَّ من قراءة ملف ماضيها، لابدَّ من الاستعانة بعدد من الأشخاص الموالين.

"سامي شلبي" ولد الجولان، يبدأ به لتكوين مجموعة للاستخبارات وجمع المعلومات، نقطة ضعف "سامي" المال والمال كثير والحمد لله.

***

"مناحي" الذي حاول أن ينام في فندق متواضع بالقرب من الحرم المكِّي، لم يقلقه شيء سوى مقابلته لـ"حامد"، عاد بذاكرته للحديث الذي تمَّ بينهما، جاء يريد معرفة شيء ما ولكن حتَّى هذه اللحظة لم يصل لمبتغاه، ويظلّ السُّؤال قائمًا في ذهنه:

مَن هو الهارب؟

وكيف هرب؟

أسئلة لم يجد إجابة لها في الرِّياض ولا في تبوك عند الشّيخ ولا عند الزَّعيم هنا في مكَّة، الزَّعيم كان هادئًا ، برغم خطورة الموقف، لم تصل أيّ أخبار للزَّعيم عن الهروب، إشاعات، ومَن هو مطلقها؟ وما هو الهدف من وراء ذلك، الزُّعماء لا يجرون ولا يتأثَّرون، بل لا تقلقهم الإشاعات لماذا؟

أهم مصدر الإشاعات؟

أم أنَّ لديهم الحقائق بحكم مواقعهم، فشبكة مصادر معلوماتهم تصفِّي الأخبار لتضع أمامهم الحقائق صافية من الشَّوائب، يعتمد ذلك على كفاءة وقدرة هذه المصادر.

بالرَّغم من قربه للحرم المكِّي الشَّريف إلَّا أنَّ شيطانه وسوسَ له... رغَّبه في كأس من الجنِّ أو الفودكا الرُّوسيَّة وسيجار، حاول أن يطرد هذا الوسواس، تقلَّب على فراشه كَمَن يتقلَّب على جمر، قام إلى الحمَّام توضَّأ، صلَّى، حاول أن ينام، ولكن هيهات وكيف يأتيه النّوم فالحديث مع "حامد" تحوَّل من محاولة معرفة مَن هو الهارب وكيف هرب إلى التَّفكير في التَّخطيط لجريمة قتل نفس حرَّم الله قتلها، ولكن هدفنا لا يرحم حتَّى أقرب النَّاس إلينا إذا خانَ أو شكَّل خطرًا علينا، فلو خيّرت بين موتك وبين موت الآخر مهما كانت علاقته فمَن تختار؟ فما بالك إذا جاء الاختيار لشخص لا تعرفه، صحيح أنَّه يشكِّل ركيزة في التَّنظيم، ولكنَّه أصبح خطرًا على مؤسِّسي التَّنظيم، لقد أقسمت يا "مناحي" ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾، أن تحكم أنت على نفسك بالإعدام، ليس أنتَ مَن أصدرَ حكم الإعدام، إنَّه المكِّي وهو يتحمَّل عاقبة القرار، أنتَ مجرَّد منفِّذ لأوامر الزَّعيم، ولست قاضيًا، ولكن ألا تستطيع أن تناقش مع الزَّعيم القرار وأنت أحد الأعمدة الأربعة المتبقّية من التَّنظيم، بعد سقوط العامود الخامس بانتحار "عاصم"، ألا تستطيع أن تثنيه عن قراره، ألا يوجد حلٌّ يبقيه على الحياة دون تعرُّض التَّنظيم لخطره؟!

وما هو البديل للقرار في حال سألك المكِّي، تهريبه خارج الحدود، في هذه الأوقات والأزمات العالميَّة...

كيف؟

وأين؟

إنَّ التَّعاون بين جميع استخبارات دول العالم تكاد تكون جهازًا واحدًا للاستخبارات، يعمل بنمط تنسيقي تشترك فيه المصالح بين هذه الدّول، التي تتخطَّى حواجز الأديان والألوان تحت ما يُسمَّى الإنتربول من جهة ومن الأخرى بين أجهزة الاستخبارات سواء كانت ثنائيَّة الاتفاقات أو مع العديد من الدّول أصحاب المصالح المشتركة خاصَّة الأمريكيَّة منها.

تمَّ إخفاؤه؟

كيف؟

وأين؟

وإلى متى؟

إخفاؤه يعني حمايته، وخدمته، ورجال المباحث لن يهدأ لهم بال إلَّا بالقبض عليه حيًّا أو ميّتًا، ميّتًا إذا كنت أنت الهارب يا "عمَّار" فأنت ميت إمَّا من قِبَل رجال المباحث أو من التَّنظيم فأيُّهما تختار؟

الأفكار السَّوداء تقلقه، أنهكه التَّعب والأرق، أذان الفجر من المسجد الحرام يهزّه، سحبَ قدميه سحبًا نحو الحمَّام، توضَّأ مرَّة أخرى برغم أنَّ وضوءه لم يُنْقَضْ، لبسَ ثوبه وتهيَّأ للخروج إلى الصَّلاة، انخلعَ قلبه على طرق باب غرفته، مَن يكون الطَّارق في هذا الوقت المتأخِّر، أو المبكِّر من الفجر.

***

على العشاء وفي المزرعة على طريق مكَّة الليث، أكملَ "عمَّار" حديثه سائلًا:

عمَّار: تأمرني طال عمرك أقص عليك من أوّل معرفتي بالمرحوم "عاصم"...

قاطعه "حامد": أنا أعرف عنك الآن حتَّى ليلة المداهمة، ليلة القبض عليك... ابدأ من هناك.

عمَّار: أبدًا طال عمرك خلّيني أقول لك من بعد ما شفتك في المعرض لأوّل مرَّة، اشتريت حلقًا وخاتمًا من الذَّهب بحوالي ألف ريال وطوّلت شوي حتَّى خرج المرحوم بعد ما اشترى منك الذَّهب، كنت مشدوه بشخصيّتك الهادئة وأنت تتحدَّث مع المرحوم وكأنّه زبون، لم تخطئ في التَّعامل معه ولا هو، ما لاحظت شيئًا يثير الرّيبة بينكما زبون معتاد يشتري من المعرض مثله مثل الآخرين، مع اهتمام زايد شوي؛ لأنّه زبون دايم وما تبي تخسره، خرج المرحوم وخرجت أنا بعده بدقائق وأنا أراقبك، جلست أنت شوي واختفيت في الدَّاخل وأنا أناحل العامل جيب ذي ودي ذي، صورتك في ذاكرتي تمام حتَّى ما أضيّعك.

حامد: إيش كانت مشاعرك؟

عمَّار: في الأوّل قبل ما يدخل المرحوم كنت خايف ومرتبك شوي، بعدين دق قلبي لما قرّبت تخدم المرحوم، ودي ما تنزل عنك، بس خفت أحد يلاحظني، رحت أراقبك بنص عين وكلّما تحرَّك العامل يجيب بضاعة يعرضها استغلّيت الوقت وأراقبكم اثنينكم وبالذَّات أنت.

حامد: وبعدين.

عمَّار: خرجت ورحت على الفندق وأنا في الطَّريق ما أفكّر إلَّا فيك، رجعنا الدَّمَّام وبعد خلّها قبل التَّفجير بيومين طلبني المرحوم من الرِّياض ونزلت في فندق صغير في البطحاء، تقابلنا، كان مبسوط ويغنّي، خرجنا ركب معي في سيَّارتي المستأجرة، نتجوّل في شوارع الرِّياض، طلب منِّي أغنِّي

أغنيّة "محمَّد عبده" الوطنيَّة فوق هام السّحب، غنّينا سوا وما أسمع إلَّا الرّجال يبكي بصوت عالٍ، توقّفت عن الغناء وسألت: خير.

قال وهو يبكي: كمّل.

كان يأمرني أكمل، كمّلت وهو يبكي اللين خلصت الأغنيَّة، دموعي وأنا أبلعها حوّلت صوتي لحزن؛ ممَّا زاد الشَّجن فيني وفيه عند أحد الأرصفة رصيف المكان اللي تفجَّر، قال توقَّف، نزل وطلب منِّي النّزول، نزلت وأنا ما أعرف إيش القصَّة، حط كفّه اليمين في يدي اليسرى وضغط على يدي وسرنا.

قال: اسمع، وفي يده الثَّانية خاتم ناولني إيَّاه، هذا الخاتم أبيك تحافظ عليه محافظتك على روحك، أنا راح أسافر، عندنا اجتماع خارج المملكة وصحّتي زي ما تخبر، عندي إحساس يمكن ما ألحق أرجع مرَّة ثانية.

حسّيت بقشعريرة من كلامه، قلت: صلِّ على النَّبي قل يا "علي"، يا "عبَّاس"، يا "فاطمة".

دموعي هلت، ضمّيته وضمّني في الشَّارع اللين حسّيت إنّ قلبي يحك قلبه.

قال لي: خلّك رجال، خلّ عنك العواطف.

قلت له ودموعي تهل: أقسم بالله أنّي أحبّك.

ردّ عليّ: وأنا أحبّك في الله... عندي أمانة أبيك تحرص عليها تراها في المقر على الطَّاولة اللي في ركن الحاسب الكبير، إذا ما رجعت تأخذها وتسلّمها للزَّعيم تبايعه على سنّة الله ورسوله وتطيع أوامره كطاعتك لي.

سألت: وكيف يعرفني قال عطه الخاتم وهو يتعرَّف عليك وقل له اسمك هو عنده اسمك وكلمة السِّر (الخليَّة خمسة في الكهف) ولما يشوف

الكفن يتأكّد، كلمة السِّر تحفظها لا تكتبها ولا تقولها أمام مَن ما كان، لا تقولها إلَّا للزَّعيم في خلوة بينك وبينه كأنَّه يبي يودّعني بالقرب من قبره (وأخذ "عمَّار" يبكي) كأنّه يقول لي تراني راح أموت هنا...

قاطع حديثه رنين هاتف من هواتف "حامد" المرصوصة أمامه على طاولة الأكل، تغيَّر لون "حامد" عندما لاحظ هاتفه الأحمر اللون يرن، قام فحاول "عمَّار" القيام احترامًا له، ولكنَّ نظرة "حامد" وإشارة يده الآمرة له بعدم القيام جمّدته في نصف المسافة، لم يسمع صوت "حامد" الذي كان يهمس خوفًا أن تسمعه نفسه، كان يسمع أكثر مما يتحدَّث، أقفل الخط، وعاد بهدوء إلى مكانه.

حامد: عفوًا... كمّل.

عمَّار: تركنا مكاننا ورحنا على مقهى في الشّامة تعشّينا، ودندنَّا وتكلّمنا، ورجعنا بعد ما صلّينا الصُّبح في مسجد كبير على تقاطع الأمير عبد الله مع الدَّائري الشَّرقي، وصلّته لمكانه ونزلت أودّعه، ضمَّني وسالت دموعنا وكأنَّه الوداع الأخير، رحت الفندق حاسبت ورجعت إلى السَّيَّارة في المطار وعودت إلى الدَّمَّام، عدت لحياتي الطبيعيَّة، العمل، مراقبة نشاط الشّركة، مراقبة العمل في المقر، كلّ شيء هادي الهدوء اللي يسبق العاصفة.

حامد: ما قال لك على التَّفجير؟

عمَّار: أبدًا.

حامد: يعرفني زين الله يرحمه، لو قال لي كان ما تركته ينام لوحده، لو أموت معه.

حامد: وبعدين؟

عمَّار: سمعنا عن التَّفجير.

حامد: كيف سمعت عن التَّفجير؟

عمَّار: في الأخبار.

حامد: إيش اللي خطر على بالك لما سمعت الخبر.

عمَّار: ما ظنّيت أنّه "عاصم"، أو من جماعتنا، كنت أظنّ ناس ثانين.

حامد: كيف تصرّفت؟

عمَّار: عادي جدًّا، حتَّى ما حاولت أسأل أو أناقش في المدرسة، أسمع، بس ما أتكلّم، حتَّى في البيت.

حامد: متى عرفت أنّ اللي فَجَّر من جماعتنا.

عمَّار: بعد أسبوع، الرّبوع التَّالي.

حامد: مَن جاب لك الخبر؟

عمَّار: "عزوز".

حامد: مَن هو "عزوز"؟

عمَّار: واحد معنا في التَّنظيم.

حامد: قل لي بالتَّفصيل كيف؟ وفين؟ قال لك الخبر.

عمَّار: أبدًا طلب مقابلتي، "عزوز" صديق ودايم يجي عندي وهو يكتب أغاني عاطفيَّة، وفي الجلسة عندي في البيت، قال لي إنّ المرحوم طلب منه تكوين مجموعة انتحاريَّة في الرِّياض من اثنين "عزوز" اختار "حمدي" معه وسافروا على الرِّياض، وضَّحَ لهم الخطَّة، وقال لهم يجهزوا، لما يعطيهم الإشارة يقوموا بالعمليَّة، وإذا سمعوا عن تفجير يتركوا كلّ شيء ويعودوا الدّمَّام بأسرع ما يمكن.

حامد: تمويه يعني؟!

عمَّار: الله العالم.

حامد: قال لهم على مكان التَّفجير اللي اتفجَّر.

عمَّار: لا... مكان ثاني، قال هناك هدفين غير الهدف اللي تفجَّر، دلهم عليه المرحوم وخلاهم يختاروا واحد من الهدفين الأسهل والأفضل.

حامد: المباحث قفشوا "عزوز" و"حمدي".

عمَّار: إيه مع المجموعة اللي انقفشت في الشَّرقيَّة.

حامد: ما قال لك "عزوز" مين اللي انتحر؟

عمَّار: لا... ما أحد كان يعرف، تعرف الشَّبكة كبيرة ومتشعِّبة، حتَّى أنا ظنّيت أنّه من مجموعة الرِّياض أو من المجموعة الرَّئيسيّة.

حامد: مَن كان مع "عزوز" و"حمدي"؟

عمَّار: ما رأيتُ أحدًا غير المرحوم، كان المرحوم يجتمع بهم الاثنين فقط ويشجّعهم وجهّزهم بنفسه بالسَّيَّارة والمتفجّرات والفلوس.

حامد: السَّيَّارة اللي ملغّمة بالمتفجّرات قال لك وين؟

عمَّار: في مستودع في الرِّياض.

حامد: فين بالضَّبط؟

عمَّار: في ورشة من ورش المجموعة لصيانة السَّيَّارات حسب كلام المرحوم لهم، قال لهم لما تجهزوا تروحوا الورشة وتستلموا السَّيَّارة.

حامد: ويش نوعها؟

عمَّار: جمس موديل أربعة وتعسين.

حامد: قال لك على اسم الورشة؟

عمَّار: إيه في أمّ الحمَّام، عند واحد من اليمن اسمه "عمر".

حامد: كمّل!

عمّار: حذّرت "عزوز" لا يقول لأحد ولا يتّصل بأحد وقلت له لو أحد غيري اتّصل بك لا ترد عليه، بعد أسبوعين من مقابلة "عزوز"، جات المباحث على بيت المرحوم حقّقوا مع "أمّ عاصم" وأخته وزوج أخته وعمّه، أنا من يوم ما قال لي "عزوز" على الخبر بلّغت المجموعة لا يتّصلوا بأحد وكلّ واحد يبلغ اللي معه لا يتكلّم وحرّضته أن يتصرَّف بشكل طبيعي، حتَّى مجموعة المقر، داروها حشيش وفله ولعب ورق، نظّفت حاسبي من المعلومات ما عدا برامج الأغاني ونظفوا حاسوباتهم.

حامد: كيف وصلوا لك ومتى؟

عمّار: سمعت أنّهم وصلوا بيت المرحوم، وأنّهم حقّقوا مع أقاربه، وفي ليلة من الليالي التَّالية، في الثّلث الأخير من الليل جو بسيَّاراتهم دقّوا الجرس كنت صاحي أدندن على العود، سمعت الجرس فكّرت إنّه "عزوز"، نزلت لقيت المباحث، قال الضَّابط يسأل: هذا بيت "عمّار"؟

عمّار: إيه.

الضَّابط: أنت عمّار؟

عمّار: إيه.

الضَّابط: الوالد موجود والأهل موجودين؟

عمّار: إيه... خير.

الضَّابط: خير... عندنا أمر بالتَّفتيش والكلام معك ومع الوالد.

دفعني ودخل وأمر مجموعة بالدّخول قبل ما أفتح فمي بكلمة، وطلب من مجموعة ثانية مراقبة الشَّارع والشَّوارع الخلفيَّة.

قلت له: خير لا تدافش ويش عندكم.

الضَّابط: تعرف واحد اسمه "عاصم عبَّاس"؟

عمَّار: إيه صاحبي.

الضَّابط يأمر أحد الجنود: حط الأساور في يده.

قدّمت يدي دون أي مقاومة قلت للعسكري: هذي يدي هاك خلّنا نشوف آخرة الليل هذا، دخلنا البيت، صوت على الوالد اللي صحي من الضَّجَّة خرج قال خير! لما شاف المباحث والقيد في يدي انخرع من الخوف قلت له: لا تخف الظَّاهر "عاصم" رجع للمخدّرات الله لا يبلينا.

الضَّابط: وين غرفتك؟

عمَّار: هناك في نهاية الممر، بابها مفتوح.

أمر الضَّابط الجنود للدّخول للغرفة، ودخلنا وراهم قال تحرزوا على كلّ شيء الكتب والحاسب، جمعوا كلّ شيء، كلّ ورقة، لا تتركوا شيئًا، قال موجِّهًا كلامه للوالد نبي نفتّش الحريم ونحطّهم في هذي الغرفة بعد ما يخرجوا اللي فيها.

صاح الوالد: أفا... كيف تفتّشوا عارنا.

الضَّابط: هناك نساء راح يقوموا بعمليّة التَّفتيش لا تخف.

والد عمَّار: بس احنا ما لنا شغل بالمخدّرات، المقرود ولد "عبَّاس" هو اللي يتعاطاها وقال إنّه تاب وصار داعية ويصلِّي في المسجد.

الضَّابط بهدوء: العمليَّة أكبر من المخدّرات يا عم.

والد عمَّار: عسى ما هي الخمر أكيد يقطع عرق.

الضَّابط وهو يتلفّت مراقبًا عمل الجنود: أكبر.

والد عمَّار: دعارة... حسبي الله، والله ما يتهرّب من الزّواج إلَّا في بطنه شيء، بوه عله.

الضَّابط: إرهاب يا عم، "عاصم" من جماعة التَّكفير والتَّفجير، وولدك "عمَّار" معه.

والد عمَّار: إرهاب! ولدي إرهابي! (وصفعني على وجهي كف خبط راسي في الجدار) باعد الضَّابط بيني وبين الوالد، أنا كنت هادي جدًّا قلت للوالد: لا تخف تراها تهم أنا ما ني إرهابي.

الوالد: أجل ليش الحديد في يدك.

عمَّار: عملهم، الرّجال يقوموا بعملهم ولما ينتهوا راح تظهر لهم الحقيقة، تراهم يبحثوا عن الحقيقة، لا تخبّي عنهم شيء، تعاون معهم، قل لهم كلّ اللي تعرفه، أنا راح أجاوب على كلّ أسئلتهم بصدق، لا تخف، الحقّ راح يظهر، ومَن قال الصّدق نجا.

فتّشوا البيت، أنا كنت حاسب حساب ها اللحظة خبيت سي دي فيه أسماء شباب من المنطقة ما لهم في العير ولا في النَّفير ومعهم بعض من أسماء كلّ اللي يعرف المرحوم والنَّاس كلّها تعرف أنّنا أصدقاؤه، على أساس لما يبحثوا يلاقوا السّي دي وفيه الأسماء وهذا بداية خيط الخطَّة اللي وضعتها، كانت في راسي خطَّة نفّذتها بنجاح والحمد لله.

حامد: خطّة!

عمَّار: إيه خطَّة محكمة.

حامد: بس يمكن تفشل.

عمَّار: في حالة الفشل ما تفرق، الميت ما يفسي لك الكرامة.

حامد: عظيم... كمّل.

عمَّار: أخذوني معهم، وبعض المحققين جلسوا مع الوالد والأهل، الظَّاهر حقّقوا معهم، ما أعرف، أنا في السَّيَّارة لقيت "جعفر" ومعه اثنين سيَّارة

مصفّحة، نقلونا بسرعة إلى منطقة، عندها شفت كثيرًا من اللي معنا في التَّنظيم، الجنود على رءوسنا بالرَّشَّاشات، كلّنا مقيّدين بالسلاسل، جا الحلَّاق وحلق شعرنا، ركّبونا أتوبيسات حزه الضّحى، جلست في مقعدي هادي، أبتسم، وكأنّي رايح عرس، بس ما أعرف وين، السَّتائر على الشَّبابيك، ساعات واحنا نتحرّك ما نعرف وين؟ منع الكلام، البعض يبكي، والبعض يدعي، والبعض يشتم، والجنود كأنّهم ما يسمعوا، يناظروا في أشكالنا ولا يتكلّموا ولا يبتسموا وكأنّهم دمى، ناس سلخوا منها المشاعر، صاح واحد من المعتقلين (الله أكبر) ما جاوبه أحد، ردّدها أكثر من مرَّة ولا حياة لمن تنادي، الكلّ زي ما قلت لك مأخوذ، أو كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

وصلنا المعتقل غُبشة، حطّونا في حوش صلّينا المغرب والعشاء.

حامد: اعتدوا عليكم؟ ضربوكم؟

عمَّار: لا والله، كانوا يدفشون اللي ما يتحرّك ويأمروه بالحركة بس.

حامد: كمّل!

عمَّار: دخلونا على ميز العشاء بالطَّابور، بعد العشاء...

حامد (مقاطعًا): كم عددكم؟

عمَّار: حول الثّلثميّة رجال وورع، ما أعلاف بالضَّبط.

حامد: كان معكم قُصْر.

عمَّار: إيه قلت لك كتبت أسماء مراهقين كثر.

حامد: ليه؟

عمَّار: في راسي خطَّة بصيص أمل من نجاحها ولو فشلت يا الله، المهم المحاولة، الفشل والنَّجاح بيد الله.

حامد (ينادي سالم): سالم.

سالم (من بعيد): سم طال عمرك.

حامد: ودي الفاكهة في الصَّالون وسوّي برَّاد شاي بالدّوش (ووجّه حديثه لـ"عمَّار") تحبّ الدّوش ولا الحبق اللي هو النّعناع المدني ولا النّعناع الطّايفي.

عمَّار: ما في حساوي لو ما فيها كلفة.

حامد (يخاطب "سالم"): سوّي برَّادين، واحد دوش والثَّاني بالنّعناع المدني، المدني والحساوي واحد (وأمر "عمَّار" بمواصلة الحديث) كمّل.

عمَّار: بعد العشاء واحنا في مكاننا دخل ضابط وقال: انتباه، اللي يسمع اسمه يقول حاضر ويقف ولا يجلس حتَّى آمره بالجلوس، أوّل اسم اسمي، وقفت، اسم "جعفر"، "زين"، "حبيب"، "عزوز"، "حمدي".

حامد: بس ستّة أسماء.

عمَّار: إيه.

حامد: كنتم على طاولة واحدة؟

عمَّار: لا... أنا كان ظهري على الجدار، "جعفر" في الطَّاولة اللي قدَّامي على طول، "زين" و"حمدي" على طاولة واحدة في الوسط، "حبيب" في الطَّاولة القريبة من الضَّابط، و"عزوز" في الطَّاولة الثَّانية اللي بعدها مقابلة لها.

حامد: صب شايك وكمّل.

عمَّار: أخدمك طال عمرك.

حامد: شكرًا... كلّ واحد يخدم نفسه... كمّل.

عمَّار: بعد ما وقفنا أمرنا الضَّابط بالتَّقدُّم نحوه، كان معه فرقة من عشرة أفراد صفّونا اثنين... اثنين وكلّ واحد منَّا بجواره عسكري واثنين عساكر قدَّام لوحدهم واثنين خلف الطَّابور، أمر الضَّابط بالاستعداد والتَّقدُّم وخرجنا من صالة الميز، كأنّنا كتيبة.

حامد: والسَّلاسل.

عمَّار: فكّوا القيود منّنا، وسرنا بمشية عسكريَّة، ووزَّعونا على الزّنزانات، كلّ واحد في زنزانة، جرّدوني ورشّوني بماء بارد، كان الجو شتاءً، وأقفلوا عليَّ باب الزّنزانة.

حامد: اشرب... شايك برد، والخمسة الباقين كلّ واحد في زنزانة انفرادي؟!

عمَّار: والله ما أعرف، أنا أوّل واحد دخلوني ودخل معي اثنان من الجنود، أمروني أخلع ثيابي، خلعتها وخلّيت السّروال، قالوا اخلع خلعته، جابوا لي ماء ورشّوني، الماء بارد، تركوني وقفلوا باب الزّنزانة، بعد شوي سمعت أصوات وصراخ وشتم وأبواب تصفق وتُغلق حوالي ساعة، وبعدها هدوء كلّ شيء هادي، دقّ بالشّيفرة على الأبواب، كلّ يسأل عن خويه، البعض يقول للبعض ينكر معرفته به وبالتَّنظيم، بعد فترة قلّ الطَّرق واختفى، كنت أترجم الشّيفرات وعرفت كلّ شيء دار من حديث بين المعتقلين، نمت وأنا مرهق، ما فقت إلَّا على رشّ الماء البارد وصوت يقول قم تجهّز للصَّلاة، عطوني وزرة توضّيت وصلّيت، لاحظت الزّنزانة فرشة وحمَّام ودش ماء ورف عليه مصحف وكمرا.

حامد: ما حقّقوا معك؟

عمّار: في الأوّل لا... بس تقدر تقول كلّ شوي يفتح شبّاك صغير في بوّابة الزّنزانة وأسمع صوت يقول أوقف يا حيوان قرب من الضّوء، أعتقد كان يحقّقوا مع الآخرين، يبو يعرفوا مين عرفني ومين ما يعرفني، الله العالم بس كنت أسمع شوشرة برّه، شوف، ناظر زين، تعرف الرّجال، وبعدين كلّ شيء يهدأ... ما أعرف حرب نفسيَّة أو تحقيق مع آخرين.

حامد: كم جلست على هذي الحالة؟

عمار: أسبوعين تقريبًا، حسبتها بالصَّلاة سبعين فرض.

حامد: وبعدين؟

عمّار: في يوم فتح الباب وناولني عسكري ملابسي، قال البس، لبستها بلذّة وكأنّها عشيقة أنتظر لقاها، وطلبوا منّي أتجهّز للتّحقيق.

حقّقوا معي، وعرفت أنّ اللي فجّر نفسه "عاصم"، دارت بي الدُّنيا، لعنت وشتمت بدون شعوري، ودّي واحد يتهوّر ويطلق النَّار ويخلّصني، كرهت الدُّنيا بما فيها، قلت لهم على كلّ شيء عشان يساعدوني في تنفيذ خطّتي، اعترفت لهم بتنظيم الشَّرقيَّة، كيف تقابلت مع "عاصم" بعد ما فاتحني بزواج أخته على ولد عمّها، كيف أقنعني، كلّ شيء.

حامد: ذكرت لهم شيئًا عنّي؟

عمّار: أفا... وجهّتهم صوب الشَّرقيَّة بس وإنّ التَّنظيم ينحصر هناك والهدف فصل المنطقة وإقامة جمهوريَّة إسلاميَّة فيها وكلّنا من الشّيعة خاصَّة أنّ فيها آبار البترول.

حامد: صدّقوك؟

عمّار: بالتَّأكيد ولا ما كنت معك هنا.

حامد: كيف تأكّدت إنّهم صدّقوك؟

عمَّار: حسب الخطَّة اللي وضعتها، أجاوب بصدق وثقة، رسمت خطّتي على هذا المبدأ... في الأوّل سألت نفسي مَن يحتاج الثَّاني؟ أنا أحتاجهم ولا هم يحتاجوني؟ بالتَّأكيد حاجتهم لي كبيرة عشان يأخذوا اعترافات وينجزوا عملهم.

حامد: دون مقابل!

عمَّار: بالطَّبع لا...

حامد: ويش المقابل.

عمَّار: كثير... أوّل هام ما أتعرّض للأذى عشان أركّز على خطّتي راح يهتمّوا بصحّتي، أكلي، ملابسي، نومي، راحتي، وهذا يساعدني أكثر على التَّركيز.

حامد: والثَّاني.

عمَّار: والثَّاني أضلّلهم بالاعتقاد أنّني أطلب الرَّأفة في الحكم دون الطَّلب الصَّريح.

حامد: كيف؟

عمَّار: بعدم إظهار الخوف من الموت والقصاص، الثّقة في النَّفْس، عدم الخوف، الموت حقيقة لا مفرّ منها، الاختلاف في طريقة الموت، وأنت نايم، حادث سيَّارة، حالة تسمّم، ألف طريقة وطريقة، الاختلاف الثَّاني في الوقت متى؟ وهذا الله سبحانه وتعالى حدّده في كتابه العزيز ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

حامد: صدق الله العظيم.

عمَّار: نواميس الحياة، هناك أمور كما تعلم لا نستطيع لا أنا ولا أنت نغيّر فيها شيء فنستسلم لها بإيمان وطمأنينة.

حامد: والسّجن والتَّعذيب.

عمَّار: الإيمان بالقدر خيره وشرّه، أنا لست أفضل من غيري من الشَّخصيَّات التي سُجِنَت وعُذِّبَت عبر التَّاريخ.

حامد: في نقطة ثالثة للمقابل ولا.

عمَّار: الثَّالثة ثابتة وهي الأهم، يساعدوني في توصيل المعلومات لبقيّة أعواني لتنفيذ خطّتي.

حامد: كيف؟

عمَّار: عن طريق الحاسب، مَن في المعتقل يسمح لك باستخدام الحاسب أو الجوَّال عشان ترسل رسالة؟

حامد: غير ممكن.

عمَّار: بالضَّبط طال عمرك، السُّؤال اللي يطرح نفسه على ما يقولوا أصحاب الإعلام هو كيف تخلِّي غير الممكن ممكنًا؟

حامد: ...

عمَّار: بالتَّحايل عليه، نرجع لمبدأ الثِّقة... هم يحتاجون ثقتك فيهم عشان تعطيهم من كنوز المعلومات، وأنت تحتاج ثقتهم فيك عشان يوصلوك لمبتغاك.

حامد: مصالح متبادلة.

عمَّار: بالضَّبط طال عمرك، طبيعة الأمور، أقنعتهم إنَّها زلّة لسان لما انفعلت على موت "عاصم" واستغلّيت الموقف في الكلام إنّي أنا اللي دَبَّر وخطَّط وأنّي اللي وضع المتفجّرات وأنا... أنا أبي أشد انتباههم، ودخلت موضوع العمليَّة الكبيرة.

حامد: ويش العمليَّة الكبيرة؟

عمَّار: عمليّة شمشون.

حامد: يعني!

عمَّار: فكّرنا أنا و"عاصم" على القيام بالثّورة وإنشاء دولة، لو نجحنا هذا هو الهدف، لو فشلنا عليّ وعلى أعدائي يا رب؟ زي ما قال شمشون.

حامد: كيف.

عمَّار: نهدم المعبد.

حامد: تهدموا الكعبة.

عمَّار: لا... حاشاها الكعبة الله يحفظها من كلّ سوء... نهدم آبار البترول.

حامد (يبتسم وقد سبقته ضحكة حاول أن يكتمها): كيف؟

عمَّار: صواريخ من البحر وصواريخ من مواقع مخفيَّة تحت الأرض وصواريخ محمولة على الكتف تتوجَّه لأهداف معيّنة وسريعة الاشتعال والانفجار.

حامد: صواريخ!

عمَّار: إيه صواريخ المرحوم قال راح يدبّرها.

حامد: من فين؟

عمَّار: المرحوم ما يقول عن مصادر السِّلاح، عندنا عدّة أماكن للسِّلاح في الشَّرقيَّة.

حامد: وفيها صواريخ؟!

عمَّار: لا... أسلحة خفيفة ومتفجّرات.

حامد: وكلّها في البير.

عمَّار: لا... في عدّة مواقع، كميّة طيّبة، في القرص تلاقي المعلومات (وأشار إلى الصّرَّة التي بها الأمانة، هنا حوالي نص مليون دولار، وأقراص

مدمجة فيها المعلومات الحقيقيَّة بالأسماء والعناوين وطريقة الاتصال بهم، دول حجر الأساس في التَّنظيم والخلايا المتفرِّعة منهم، هناك فرقة شمشون، وهي اللي راح تقوم بالعمليَّة الكبيرة زي ما قلت لك، فرقة مدرّبة تمام، قلوب من حديد ورجال تقدر تعتمد عليهم.

حامد: وبقيّة الفلوس؟

عمَّار: مليون ريال نقد خرجوها من الصّندوق ووزّعوها على أفراد من التَّنظيم، ما يعرفهم أحد غيري، أسماؤهم والمبالغ اللي أخذها كلّ واحد موجودة في القرص.

حامد: كمّل.

عمَّار: استأذن طال عمرك، الحمَّام قريب من هنا؟

حامد: عند المغاسل.

حامد يستغل فرصة ذهاب "عمَّار" ويتَّصل بالهاتف الأحمر.

حامد: سم طال عمرك.

فالح: وين "عمَّار"؟

حامد: راح الحمَّام طال عمرك.

فالح: قال شيئًا؟

حامد: قال شيئًا وباقي أشياء.

فالح: خذ منه كلّ شيء ولا تعطيه شيئًا، كُنْ حَذِرًا!

حامد: أبشر طال عمرك.

فالح: تراه ملاحظ نادر، حاسب في كلّ كلمة وكلّ تصرُّف، تراه ما هو سهل.

حامد: متعاون مع المباحث طال عمرك.

فالح: المعلومات الأكيدة اللي عندي تقول لا... هرب.

حامد: وفكرة التَّخلُّص منه!

فالح: الأوّل خذ منه كلّ شيء لو جلس عندك في المزرعة أسبوع، عشرة أيّام ما يهم، المهم نعرف منه كلّ شيء.

حامد: جاب معه الأمانة وفيها المعلومات في أقراص مدمجة، وحوالي نص مليون دولار.

فالح: المهم خلّك حذر زي خبري فيك، واحفظ كلّ اللي يقوله.

حامد: المسجّل شغَّال طال عمرك وراح أرسل لك نسخة من التَّسجيل تحلّلها وتأمرني... يجب أن أنهي المكالمة الطّير وصل.

فالح: لا تقطع الخط الآن وكأنّك تكلم الوالدة في موضوع عائلي وخلّه يسمع.

حامد: حاضر، "حمد" أخذ الدَّواء؟

فالح: ...

حامد: يا أمّي يا حبيبيتي لازم يأخذ الدَّواء في موعده.

فالح: ...

حامد: اسمعي يا أمّي الله يطوّل في عمرك، أنا قلت للممرّضة اللي تعتني بيه الدَّواء في موعده، الدّكتور قال كذا وحرص الدّواء مع الأكل في موعده.

فالح: ...

حامد: يمه، احنا نعطيها أجرًا عشان هذه المهمَّة، تهتم بـ"حمد" وبس.

فالح: ...

حامد (وهو يشير لـ"عمَّار" بالقدوم والجلوس): الباقين يخدموها حتَّى ثيابها الشَّغالات يغسلوها، أكلها يجيلها لحد عندها.

فالح: ...

حامد (بحزم): إذا ما تبي تقوم بدورها المطلوب منها، نجيب تأشيرة ثانية ونسفّرها.

فالح: ...

حامد: زيادة في الرَّاتب!

فالح: ...

حامد: هي اللي قالت لك كذا؟

فالح: ...

حامد: زيادة الرَّاتب كلّ سنتين حسب العقد.

فالح: ...

حامد: يا أمّي، يا أمّي، اسمعيني الله يرضى عليك أنا مشغول، اعطِ "حمد" الدَّواء ولما أرجع البيت، أنا أتكلّم معها.

فالح: مع السَّلامة.

حامد: مع السَّلامة.

عمَّار: ما في أحد في المكان؟

حامد: أيّ مكان!

عمَّار: هنا.

حامد: خير تبي شيء؟

عمَّار: ماء الله يحيك.

حامد (يضغط على جرس): نشفت ريقك؟

عمَّار: لا... الله يحيك، بس عطشان شوي.

سالم: سم طال عمرك.

obeikandl.com

حامد: جب قارورتين ماء إفيان.

سالم: خدمة ثانية طال عمرك.

حامد: لما نبغى شيء نطلبك، جيب الماء بس.

عمَّار: تبينا نكمّل طال عمرك؟

حامد: إذا تعبت خلّها لباكر.

عمَّار: أخاف تكون مشغولًا وأنا أشغلتك.

حامد: عشان موضوع الوالدة!

عمَّار: ولأهلك عليك حق.

حامد: لا... هذا "حمد" أخوي المريض أكيد المرحوم قال لك عليه، جبنا له ممرّضة مخصوص في البيت، بس الظَّاهر شبعت وتبي ترفس النِّعمة، تطالب بزيادة الرَّاتب، برغم إنّنا نعطيها في الأعياد وما نبخل عليها بشيء، أكل، سكن، لبس، علاج، هبات، عيديَّه، ما تصرف قرش من راتبها.

عمَّار: الله يهديها.

حامد: اللهمَّ اهدينا جميعًا، ها ما قلت لي قابلت أحدًا في المعتقل؟

عمَّار: قلت الله يطوّل عمرك، قابلت كلّ اللي اتقفشوا من التَّنظيم.

حامد: أقصد غيرهم!

عمَّار: في التَّحقيق، جابوا صورة واحد من الأفغان الباكستانيين، هندي، بنقالي، ما أعرف، قال المحقّق: تعرف الرّجال.

قلت: الحقيقة ما أعرفه ولا شفته.

قال: اسمه "سعد"، "سعد الزّدن".

قلت: ما أعرفه.

قال: الذّيب.

قلت: ما أعرف واحدًا بالاسم هذا.

قال الضَّابط: "سعد مسعود".

قلت: ما سمعت هذا الاسم غير هنيّة.

حامد: وأنت فعلًا ما تعرف الرّجال.

عمَّار: لا والله بس لو قابلته الآن أقول أعرفه.

حامد: ليش؟

عمَّار: بعد شهر تقريبًا، دخل عليّ رجال ملتحي فكّرته من رجال الهيئة ومعه ضابط واثنين من الجنود.

قال الضَّابط: استرح.

جلست وجلسوا على الفرشة.

قال الضَّابط: تعرف هذا مَن؟

ما جاوبت، فكّرت الضَّابط يسأل الرَّجل الثَّاني، سكتنا لحظة كلّ واحد يناظر الثَّاني وما تكلّمنا.

قال الضَّابط موجِّهًا كلامه يمي: أنت ما تعرف الرّجال؟

عمَّار: لا والله ما حصلي الشَّرف الأخ قاضي!

الضَّابط: ناظره زين.

عمَّار: من رجال هيئة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

الضَّابط: ناظر زين أحسن لك.

عمَّار: من رجال المناصحة، محقّق، ما أعرف الرّجال جاي معك.

الضَّابط: ما قط شفته قبل الحزة.

عمَّار: أعتقد يشبه الصُّورة اللي مع المحقّق.

الضَّابط: هذا منكم من التَّنظيم.

عمَّار: أنا ما قط قابلت الرِّجال قبل هذي الحزة.

الضَّابط وهو يشير للعسكري الثَّاني: على كلّ حال راح نترككم مع بعض تتعرّفوا على بعض.

تركوني مع الرّجال أنا في ذهني أنّه منهم، ويبوا يتركوه معي عشان أغيّر أقوالي اللي في التَّحقيق أو أصر عليها، الرّجال لهجته مختلطة ما تعرف هو من الشَّمال ولَّا الجنوب، هادي، فيه جاذبيَّة، نظراته حادَّة وإن كان تحس فيها الوداعة، جلسنا نناظر بعضنا البعض قال.

سعد: مساء الخير.

قلت: مسَّاك الله بالخير.

سعد: ما اسمك؟ (قالها بلهجة أهل جازان).

قلت: عمَّار... وأنت؟

سعد: سعد... سعد المسعود (وسأل) أنت صحيح شيعي زي ما يقولون؟

قلت: أنا مسلم أشهد أن لا إله إلَّا الله ومحمَّد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أصلِّي وأزكِّي وأصوم وحججت مرّتين والحمد لله.

سعد: لكن مَن تتبع من العلماء؟

قلت: أتبع اللي أرى فيه الخير والصَّلاح.

سعد: جزاك الله خيرًا.. ليش أنت هنية.

قلت: متّهم... والمتّهم بريء حتَّى تثبت إدانته.

سعد: ويش هي تهمتك؟

قلت وأنا أضحك: إرهابي!

سعد: أعوذ بالله... أنت مع اللي فجّروا؟

obeikandl.com

قلت: أنا صديق اللي فجَّر نفسه.

سعد: واشتركت معه في العمليَّة؟

قلت: أنا مشترك معه في التَّنظيم، أنا قلت لهم على كلّ شيء، أنت القاضي اللي راح تحكم عليّ بالإعدام.

سعد قال بتهكُّم: أحكم عليك... طبعًا أحكم عليك... وبالإعدام، اشتبهوا فيني وذبّوا بي في السِّجن بسببكم أنت وخويك "سعد الزّدن" الله لا يرحمكم.

قلت: بس أنا ما أعرف واحدًا باسم "سعد الزّدن" ولا هو معنا في التَّنظيم.

سعد: أنت تعرف كلّ أفراد التَّنظيم؟

قلت: إيه!

سعد: ويش هو تنظيمه ذا؟

قلت: وحدة الموحّدين.

سعد: الله لا يوحّدكم... أنا ذنبي إيه عشان تكتبوا اسمي من غير علمي؟

قلت: والله يا شيخ أنا ما أعرفك، ولا قط شفتك من قبل، وروني صورة تشبهك ما أعرف إن كانت لك ولا لواحد ثاني بس الشّبه بينكم كبير كأنّه أخوك التَّوأم، أنا أقسم بالله حتَّى هذي اللحظة شاك أنّك منهم.

سعد: مَن هم؟

عمَّار: رجال الأمن أو من القضاء أو رجال المناصحة!

سعد: لما شفت الصُّورة ويش قلت؟

قلت: قلت لهم ما أعرف الرّجال، قالوا عن اسم "سعد الزّدن" قلت ما سمعت هذا الاسم، قالوا الذّيب... ولا الذّيب، قالوا "سعد المسعود"،

قلت: ولا هذا الاسم ما مرّ عليَّ في القائمة، أنا المسئول عن القائمة وتسجيل البيانات، أنت من وين؟

سعد: أنا من أهل الجنوب.

قلت: أقسم بالله القائمة اللي عندي ما فيها واحد من أهل الجنوب، كلّهم من منطقة الإحساء المنطقة الشَّرقيَّة، بس لهجتك ما هي مثل أهل الجنوب!

سعد: تربيت عند خالي في الشَّمال الشَّرقي قريب من الحدود العراقيَّة، ودرست الجامعة في مكَّة المكرّمة والشّركة اللي أعمل فيها أكثرها من أهل الحجاز.

قلت: أقول لهجتك هجين من مختلف المناطق.

سعد: المناطق سعادة على ما يقولون، متى اعتقلوكم؟

قلت: قبل ثلاثة أشهر.

سعد: مع المجموعة الكبيرة؟

قلت: إيه.

سعد: كلّها منكم من الشّرقيَّة.

قلت: إيه.

سعد: تعرفهم كلّهم.

قلت: واحد... واحد كلّ باسمه وعنوانه.

سعد: بس فيهم أصوات عيال صغار.

قلت: إيه.

سعد: حتَّى الصّغار وهقتوهم معكم! حسبي الله عليكم.

قلت: الصّغير مصيره يكبر ويصير رجال، لما يكبر في التَّنظيم يكون ولاؤه أكبر لأنّ الولاء يكبر مع الإنسان.

obeikandl.com

سعد: ها الحين قلي وشهي سالفتك؟ ولا تتقشمر عليّ، أبي أعرف كلّ شيء.

قلت: أبشر وهليت عليه السَّالفة كاملة نفس الكلام اللي قلته في التَّحقيق.

حامد: ويش كانت ردّة فعله؟

عمَّار: أبدًا... طال عمرك... مستمع جيّد ما قاطعني في شيء، كان يسمع وهو ساكت، وبعض الأوقات يحوقل.

حامد: كم من الوقت تركوكم مع بعضكم؟

عمَّار: والله طوّلنا ثلاث أربع ساعات حولها.

حامد: وبعدين.

عمَّار: خرّجوه من زنزانتي.

حامد: هو في زنزانة قريبة منك؟

عمَّار: إيه.

حامد: كيف عرفت؟

عمَّار: هو اللي قال لي في المرَّة الثَّانية لما جابوه في زنزانتي وتكلّمنا.

حامد: تقابلتم مرَّة ثانية؟

عمَّار: إيه أكثر من أربع مرَّات.

حامد: ويش كان حديثكم.

عمَّار: الكلام نفسه، نعيد ونزيد وما يتغيّر، بس صارت بيننا ألفة أكبر، والله لو شفته طال عمرك تحبّه، تشعر إنّه قريب منك ما أعرف ليه؟ الرّجال ما يظهر عليه أنّه صاحب مشاكل، هادي وطيّب يحفظ القرآن، عنده جاذبيَّة غريبة، حلو الحديث.

خاصَّة إذا تكلّم عن الإسلام وسماحة الإسلام، الظَّاهر إنّه من أهل المناصحة! الله أعلم.

حامد: كمّل سالفتك.

عمَّار: أبدًا... طال عمرك... ودوني على الحاسب عشان أخرج لهم المخطّط حقّ العمليَّة الكبرى، عملت حركات، دمّرت الموقع وأوهمتهم أنّ واحدًا لعب في الحاسب ودمّر الموقع، كذبت عليهم وقلت احنا حفظنا نسخة في موقع وزارة الدَّاخليَّة، أوهمتهم إنّي دخلت موقع وزارة الدَّاخليَّة ودخلت موقع ثاني فيه نموذج لمشروع وهمي تضليلي، تعرف طال عمرك، المرحوم يعمل كذا خطّة للتَّضليل ويركّز على واحدة فرحوا وهلّلوا وصدّقوا وطبعت لهم نسخة بعدما أرسلت رسالتي بالشّيفرة للإخوان عشان يباشروا في تنفيذ الخطّة.

حامد: اللي هي؟

عمَّار: أنّي قادم للشَّرقيَّة، جهّزوا الأمانة، وبدلة الغوص، والوايت حق شفط البيارات بجوار المنزل اللي في الشَّارع الخلفي.

حامد: ما فهمت!

عمَّار: الإخوان اللي في المقر علّمتهم يراقبوا الحاسوب ولما يشوفوا الرّسالة يباشروا في تجهيز الأغراض اللي قلتها كلّها على أساس لو اقتنع رجال الأمن بكلامي راح يأخذوني للمنطقة وللمقر، ومن هناك أهرب عن طريق السّرداب ويحطّوا لي علامة في الحاسب إن كلّ شيء جاهز، وهذا اللي صار، رجال الأمن وثقوا فيني، لما كلّمتهم عن ثروة المعلومات الموجودة في المقر والأسلحة اللي راح يلاقوها، بس لازم أروح أنا بنفسي هناك عشان أفتح الشّيفرة.

حامد: ورجال الأمن صدّقوك.

عمَّار: الثِّقة طال عمرك، كنت أكلّمهم بصدق وشفافية عالية حتَّى وثقوا فيني، دليتهم على الموقع وحذّرتهم ما يلعبوا في الأجهزة حتَّى أحضر بنفسي مع الحراسة والقيود، ظنُّوا إنِّي ما أقدر أعمل شيئًا.

حامد: ومن وين جاتك الفكرة؟

عمَّار: من الأفلام الأمريكيَّة، أنا أحب الأفلام الأمريكيَّة خاصَّة الجاسوسيَّة منها، عدّلت في الفكرة على حسب ظروفي وظروف الإخوان، ساعدني المبنى وسلّم الهروب، والأجهزة الحديثة، شغلتهم بقراءة مسرحيّة زنزانة الفكر.

حامد: ما خفت تفشل الخطّة في لحظة من اللحظات؟

عمَّار: زي ما قلت لك طال عمرك، النّهاية الموت وهو حقّ، أنا تركيزي كيف أعيش، وكيف أنفّذ الجزء الخاص بي، أمَّا الباقي على ربّنا ومساعدة الإخوان في ترتيب المستلزمات.

حامد: كمّل.

عمَّار: راح فريق قبلنا بيوم وتأكّد من الموقع واحتلّوا الموقع زي ما قلت لك، الجماعة اطمأنُّوا أكثر وصاروا يعاملوني بطريقة حضاريَّة راقية، في اليوم التَّالي في الليل أخرجوني من الزّنزانة وقيّدوني وعلى المطار الخاص ومن هناك ركبنا طائرة خاصَّة، وعلى مطار ما قريب من القطيف هبطنا.

حامد: ما تكلّمتوا في الطّيَّارة؟

عمَّار: تكلّمنا، جابوا واحد معهم ضابط صغير ملازم خرّيج حاسب آلي حاول يسولف معي لقيت إنّه ما خذها عن طريق الكتب، وأنا ما خذها هواية وعمل جدي بعض المصطلحات العلميَّة اللي في الكتب ما أعرفها لأنّ

لنا مصطلحات خاصَّة، دردش معي العميد وجلست أبحر به في فلسفة ما لها أوّل من آخر.

حامد: معكم واحد برتبة عميد!

عمَّار: ولواء كمان كان جالس في المقعد اللي خلفي بس ساكت يسمع وبس.

حامد: كمّل.

عمَّار: وصلنا المقر تحت حراسة مشدّدة، الشّوارع فاضية، وبعد ما استقرّينا بدأت في تنفيذ الجزء المهم من الخطَّة، جلست خلف حاسب من الحواسيب وبدأت أقرأ الرّسالة بالشّيفرة لقيت الكلمة اللي أنتظرها، طبعت لهم مسرحيّة زنزانة الفكر عشان ألهي اللواء اللي عينه منّي طول الوقت، جلس على كرسي في زاوية الغرفة يناظرني، ولعبت في الحواسيب وجمعتها على أساس إنّها تشتغل في الوقت المناسب مع بعض وتظهر أصوات مع جهاز التَّحكُّم عن بعد اللي ينزلني السِّرداب للطَّابق الأرضي مكان الجهاز الكبير والخزنة والمعلومات، وتعرف طال عمرك المكان تحت ملغّم بالمتفجّرات، طلبت منهم تحريري من القيود، وهذي أخطر لحظة في حياتي.

حامد: فكّوا قيودك؟

عمَّار: في الأوّل فكّوا قيود يدي عشان الحاسب الآلي، بس طلبت منهم يفكّوا قيود قدمي عشان ننزل وأوريهم الجهاز الكبير والنَّفق.

حامد: وافقوا؟

عمَّار: في الأوّل رفض العميد.

حامد: وبعدين!

عمَّار: ناظر اللواء اللي كان هادي وأخذ الأمر منه بنظرة.

حامد: كيف كان شعورك؟

عمّار: كنت أدعي في صدري دعاء سيّدنا "موسى" عليه السّلام ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾، وأنفث عليهم، شغلت نفسي بالدّعاء حتّى ما أرتبك من الفرحة.

حامد: وبعدين!

عمّار: رحت لركن الغرفة ووقفت على البلاط ومعي جهاز التّحكُّم عن بُعْد وبالقرب منّي العميد لما توسّطت البلاط قلت لهم من راح ينزل معي؟ وضغط على الزّر، اشتغلت الموسيقى والأضواء بصوت عالٍ وانطفأت الإضاءة وفتح سمسم بابه وغصت في السّرداب، نزلت بسرعة وعاد البلاط وبسرعة أخذت الأغراض وعلى السّلّم صعدت ومن على سطح المنزل قفزت على المنزل المجاور ومنه على ظهر السَّيَّارة بعد ما لبست البدلة، رميت الأغراض في المياه القذرة ولبست كمامة الأكسجين وغصت بعد ما أعطيت السَّائق الإشارة المتّفق عليها.

حامد: فيلم أمريكي.

عمّار: بس إيش رأيك طال عمرك؟

حامد: تبي الحق!

عمّار: إيه.

حامد: أنا منّي مصدّق.

عمّار: أقسم بالله هذا اللي صار.

حامد: وبعدين؟

عمَّار: بعد ما تحرّكت السَّيَّارة بشوي سمعت صوت الانفجار، اطمئن قلبي، السَّيَّارة تتحرَّك ببطء وتقف لكي يتمكَّن السائق من سقي الزَّرع اللي في الشَّوارع ويختل توازني وأنا أسبح في القاذورات لك الكرامة، حتَّى وصل للبيت المطلوب، فتح الباب وأخرجوني، اغتسلت ونمت، ولبست حرمة ورحت مع المدرّسات لبيت الشّيخ شدَّاد عشان يقرأ عليّ، ومن هناك ركبت وأنا متنكِّر في زي حرمة مع عياله في (الهايلكس) غمارتين حتَّى مكَّة ونزلنا في الشَّرائع عند ناس يعرفهم الشّيخ، وهناك قالوا لابدّ ترافقك حصَّة لأنّها تعرف مكَّة تمام، وقابلناك في المعرض، والحمد لله هذا كلّ شيء.

حامد: عملت صداقة مع أحد؟

عمَّار: أحد مثل مَن؟

حامد: المساجين، النَّاس اللي تزورك، أهل المناصحة على كلامك!

عمَّار: مع المساجين تقابلت مع "سعد" اللي قلت لك عليه، بالنِّسبة للزّيارة كانت ممنوعة، ما قابلت أحدًا ما أعرفه غير السّجَّانين واللي يدّعي إنّه "سعد"، ما أعرف إن كان من أهل المناصحة أو يعمل في المباحث أو بريء زي ما كان يحاول يقنعني.

حامد: أنت متأكّد أنّ المرحوم ما قال لك على معلومات أخرى؟

عمَّار: مثل؟

***

"سعد" يتعرَّض للتَّحقيق بعد هروب "عمَّار" في تلك الليلة، لم يستطع أن ينام من شدّة آلام التَّعذيب التي تعرَّض لها، رجال التَّحقيق يبحثون جادّين عن خيط واحد يصل "سعد" بـ"عمَّار"، "عاصم" أو "سعد الزّدن" ولكن هذا الخيط بالرَّغم من قربه إلَّا أنّه ظلّ غير ظاهر أو ملموس

في ملف القضيَّة ولا يفي من النَّاحية الشَّرعيَّة أو القانونيَّة بالشّروط؛ فهو لا يزال فرضيَّة غير مثبتة تحتمل تفسيرين... النَّفي أو الإثبات، وهذا يعني البراءة أو الإدانة، يحاول أن يصلِّي أمام الكاميرا المعلّقة، عسى أن يرق قلب أحدهم لحاله ويتعاطف معه، يئنّ في دعائه، أنينه لفقد حبيبته "هالة"، ويبكي عند سماعه خبر وفاة جدّته "سكرة"، وتناول الورقة والقلم وكتب:

في الفكر الإبداعي للوغاريتم الذي هو عبارة عن إجراء صغير في عمليّة تفعيل نظام ما ممزوج مع عناصر لوغاريتميَّة أخرى في تنظيم دقيق ومحبك لابدَّ أن يكون هذا الإجراء فريدًا من نوعه، سواء كان وضعه الشّرعي أو القانوني والنّظامي، وتكون له فاعليَّة عالية الجودة؛ لذا فهو يحتاج إلى وقت وطول معيّن، ليقوم بدوره كاملًا، ويعمل لأكثر من مرَّة واحدة في ظلّ ظروف عديدة متشابهة لكي يتلاءم مع هذه المنظومة، فلا غرو أن يخضع هذا الإجراء للتَّحليل والتَّدقيق أثناء تصميمه ليتلاءم مع سير عمل المنظومة، وهذه المرحلة تعدّ من الأساسيَّات إن لم تكن أساس وضع النَّظريَّات العلميَّة والإداريَّة والنَّفسيَّة والرّوحيَّة حتَّى الميكانيكيَّة منها مثل الحاسب الآلي؛ فجميع هذه العلوم تعتبر دراسة للوغاريتمات؛ فهي تعتمد على: أوّلًا البحث والتَّصفيف، وثانيًا على التَّحليل والتَّصميم.

وكلّما كانت الدّراسة علميَّة ودقيقة لهذا الإجراء من حيث الطّول والوقت والمساحة ليعمل بكفاءة، فهو يحتاج لخبير متدرّب متخصِّص في أداء هذا الدّور تقلّ أو تزيد فاعليّة الأداء هنا أو هناك حسب استيعاب هذا العنصر لما هو مطلوب منه وكيفيّة أدائه بطرق أقلّ جهدًا وأكثر إنتاجيَّة.

يا سيّدي باختصار شديد اللوغاريتمات هي الخادم الأساس في بناء هيكليّة الأداء فهل نعي ذلك، والسُّؤال الأهم هل نعمل بذلك؟

مناحي الذي قال بصوت يمثّل فيه صوت نائم رادًّا على قرع الباب:

مناحي: مَن؟

الرَّجل: صلِّ الصَّلاة لا تفوتك صلاة الفجر.

مناحي: جزاك الله خيرًا أنا أتجهّز للصَّلاة الله يحيك.

الرَّجل يضع ظرفًا من تحت الباب وينصرف، انحنى "مناحي" ومدَّ يده يلتقط الظَّرف، فتح الباب علّه يرى مَن هو الرَّسول، ولكنَّ الرَّجل اختفى في ممرَّات النّزل، عاد إلى الظَّرف وفتح الرِّسالة فإذا هي من "حامد" وقد كتبت بالشّيفرة وعلى عجلة من أمره أن يلقاه في صلاة العصر.

***

وفاة الملك "فهد" رحمه الله برغم أنَّها متوقّعة في أيّ وقت نظرًا لظروفه الصّحيَّة إلَّا أنَّ الإعلان عنها تركَ أثره على الشَّارع المحلِّي، ولولا تحوّل المحطَّات المحلّيَّة التَّابعة مباشرة لوزارة الإعلام وتلك الخاصَّة المملوكة من قبل مَن يحملون الجنسيَّة السّعوديَّة وبعض التّليفزيونات العربيَّة عامَّة والخليجيَّة بصفة خاصَّة الفجائي إلى تلاوة القرآن كلّما مات زعيم عربي لما صدَّق الشَّارع أنَّ الملك قد مات ولكن هذه هي سُنَّة الحياة، كان التَّرقُّب الممزوج ببعض الخوف في هذه المرحلة التي كان الشَّارع المحلِّي يترقَّبها هي عمليّة نقل السُّلطة، فولي العهد الأمير "عبد الله" سيصبح ملكًا لا خلاف على ذلك، ولكن مَن هو ولي العهد، الشَّعبيَّة الكبيرة في صالح الأمير سلطان بن عبد العزيز، وهكذا مضت ساعات قليلة وبعد مراسم العزاء البسيطة التي تتميَّز بها الأسرة عن جميع الأسر الحاكمة في العالم، ما تلبث الإشاعات أن ماتت لأنّ الحقيقة سوف تظهر، وعندما أعلن عن وزير الدّفاع الأمير سلطان كوليٍّ للعهد متخطّيًا اثنين من إخوانه الذين يكبرونه في السِّنِّ،

وانتقلت السُّلطة بكلِّ سلاسة ويُسر وقع ذلك موقع الرِّضا والقبول من قِبَل الشَّعب لمحبّتهم له ومعرفتهم به خلال مراحل حياته في خدمة وطنه، واختفى أولئك الذين كانوا يضمرون الشَّرَّ لهذه الدّولة وشعبها وهم يلعقون مرارة شرورهم.

مات ملك

عاش ملك

مات خامس الملوك

من العائلة المالكة السُّعودية

واعتلى سادسهم

مات "فهد"

عاش "عبد الله"...

"عبد الله" الذي كان الكثير يترقَّبون وصوله لسدّة الحكم لما عرف عنه من حبِّه للعمل والوطن والتَّفاني في خدمة أمَّته ووقوفه مع الحقِّ بل والمتابعة وهذه من أهمّ ما يقربه من شعبه الذي أحبَّه وهو ولي للعهد؛ لذا كانت مبايعة الملك عبد الله يتسابق عليها الجميع برغم السُّؤال... مَن هو النَّائب الثَّاني؟! علمًا أنَّ لقب النَّائب الثَّاني هو لقب وظيفي في مجلس الوزراء إلَّا أنَّ كلَّ مَن لُقِّبَ بهذا اللقب أصبح وليًّا للعهد ومن ثَمَّ ملكًا، ذلك اللقب الذي استحدثه الملك فيصل لظروف معيَّنة واستمرَّ في عهد الملوك "خالد" و"فهد".

"عبد الله" الذي أصبح في نظر شعبه أنَّه الملك العادل ملك القلوب.

أمَّا في السّجون خاصَّة المعتقلات السِّياسيَّة فقد اسْتُقْبِلَ الخبر بالفرح المبطن، الفرح لأنَّ من عادة هذه الأسرة الحاكمة أن يقوم الملك الجديد

بالإفراج عن مجموعة كبيرة من المساجين خاصَّة السّياسيين؛ لذا كانت الزّنزانات تزغرد من الفرح وتبارك لبعضها البعض، وتدعوا بطول العمر للملك الجديد، سواء كان ذلك الأمل حقيقة أم سرابًا إلَّا أنَّ الفرحة غمرت السُّجون بتولِّي الملك "عبد الله" سدّة الحكم في البلاد وليس الشَّارع المحلِّي فقط.

حتَّى "سعد" الذي أمضى أكثر من ثمانية وعشرين شهرًا في زنزانته وحيدًا، شعر بالفرح عندما أبلغه والده في إحدى زيارته عن الخبر، شعر في داخله أنَّ الفرج قد دنا وأنَّ خروجه من السِّجن مرتبط فقط بالوقت وقرار من صاحب القرار الذي لن يجد غضاضة من التَّوقيع عليه، فهو رسميًّا بريء، خاصَّة بعد أن بلّغه أحد العسكر الذي بدأ يبني معهم صداقات بعد أن سمح له بالتَّحدُّث معهم وسمحوا له بالكتابة، علَّ في الحديث ما يوصلهم لخيط من خيوط القضيَّة أبلغه أنَّ المحقِّق بعد أن وجد في الملف أنَّ تأريخ الصّورة هو نفس تأريخ محضر الشُّرطة في النَّاصريَّة لـ"سعد سعيد المسعود" صاحب سيَّارة الأجرة رقم (...) ورخصة القيادة العمومي رقم (...) وأنَّ الاختلاف في المحضر فقط على فرق قيمته خمسة ريالات، وكان هذا مطابقًا لأقوال المتّهم وأنَّ المتّهم بريء وقد كتبت لجنة الادّعاء العام والتَّحقيق توصية بالإفراج عنه نظرًا لعدم وجود الأدلَّة الكافية وأنَّ التَّشابه في الصُّور بين المجرم الحقيقي "سعد عبد الله" وبين "سعد سعيد" هو الدَّليل الوحيد، وبالرغم من ذلك فقد تمَّ توقيفه والتَّحقيق معه حسبما تقتضيه المصلحة العامَّة في مثل هذه الأمور، وعندما أثبتت التَّحقيقات أنَّه شخصيَّة لا علاقة لها بالإرهابي "سعد عبد الله" أو الإرهاب بعمومه وأنّه لم يغادر أرض الوطن وأنَّ البصمات المرفوعة عن جواز وبطاقة "سعد عبد الله" لا تطابق

بصمات المتّهم؛ لذا فإنّ لجنة التَّحقيق والادّعاء العام تأنس لإطلاق سراح المتّهم ما لم يكن على ذمّة التَّحقيق في قضايا أخرى والأمر الأخير لسمو سيدي وزير الدَّاخليَّة وولاة الأمر.

خرج "سعد" مباشرة من المعتقل إلى مكتب رئيس المباحث العامَّة الذي استقبله في مكتبه لأوّل مرَّة قال له: إنّ مولاي خادم الحرمين الشَّريفين الملك "عبد الله" أمرني بإطلاق سراحك ويطلب منك أن تتَّقي الله في نفسك وأهلك ووطنك، وأن تفكِّر في البناء وليس الهدم والتَّدمير.

سعد: هل يعني كلامك هذا إدانتي والعفو عنِّي أم أنّني بريء مما نسب إليّ.

الفريق: المهم المستقبل، الماضي انتهى وما نبغى نقلب صفحاته كما وجَّهني طويل العمر الملك.

سعد: بلّغ طويل العمر بالنِّيابة عنِّي أنَّ كرمه ما راح أنساه، وكرمكم كمان أنتم معي.

الفريق: والمعنى؟!

سعد: راح نبني إن شاء الله وكرمكم إنّكم رجعتم لي تاريخي... أهلي... أبوي... إخواني.

الفريق: والدك ينتظرك برّه.

سعد: شكرًا ما قصَّر وما قصّرتم.

***

"سعد" الذي تركَ مكتب رئيس المباحث مع والده وأخيه "سعود" لأوَّل مرَّة يشعر بالفرق الحقيقي بين الحريَّة والوحدة خلف القضبان، كان

يعلم أنَّ هناك فترة من الرّقابة قد فُرِضَت عليه؛ ولذا يجب أن يكون في منتهى الحذر، لا خوفًا عليه فقط بل خوفًا على سريّة التَّنظيم وأفراد التَّنظيم.

"مناحي" الذي كان يتابع موضوع القبض على "سعد" وظروف وأخبار اعتقاله من بعيد عن طريق المجالس التي وصل إليها عن طريق نقوده وبعض من نفوذه الذي بدأ يظهر على السَّاحة الاجتماعيَّة كرجل أعمال، وكذلك سهراته الخاصَّة المتكاملة والتي يُطلق عليها سهرة متكاملة بمائها ومرعاها كناية عن كرمه المفرِط في هذا المجال، والتي كانت ترتب لبعض المسئولين تحت إشرافه ونفقته فقد كان يستغلّ هذه العلاقة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في سحب بعض المعلومات والسّرّيَّة منها على وجه الخصوص التي تهمّ مصالحه الخاصَّة كرجل أعمال من هذا النُّوع والتَّنظيم، كان يترقَّب خروج "سعد" من السّجن قريبًا لعدم وجود أدلَّة كافية، عندما عرف بخبر إطلاق سراحه أرسل رسالة قصيرة إلى الزَّعيم يبلغه الخبر.

سنوات مرَّت بعد انتحار "عاصم" والقبض على أثر ذلك على الذّيب أو "سعد" والخليَّة 05 نائمة لا حراك، وفي (سان أنطونيو) القريبة من الشَّواطئ الغربيَّة لتشيلي في أقصى جنوب الأمريكتين تلقَّى المواطن التّشيلي الجنسيَّة العربي الجذور الرِّسالة التَّالية على البريد الإلكتروني، كاد قلبه أن يتوقَّف عندما عرف المرسل، ارتجفتْ يده، تدافعت فأرة الحاسوب في كفِّه لتفتح الرِّسالة، قرأ:

ZWORG P3T 9RU ED ZFE38F EDZ7A APFE 3FAG ZF3ZAFC RZ7 8U8E3 HRAW ZFA ZFFHZ

حلَّ الشّيفرة المكتوبة بها الرِّسالة كالتَّالي:

أبشرك "سعد" خرج من المعتقل، "مناحي" يسلّم عليك، العائلة راح تجتمع قريبًا إلى اللقاء.